

الملحمة الوطنية

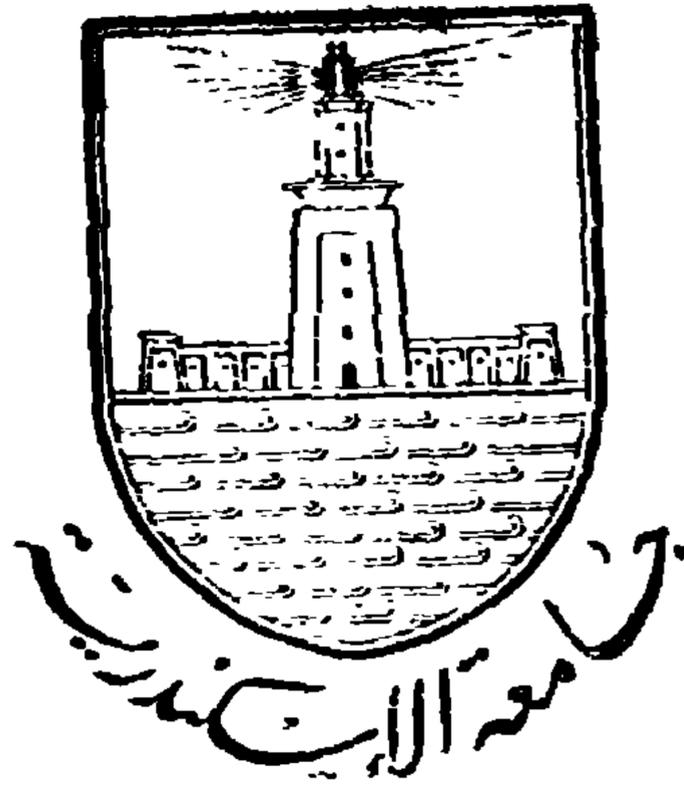
و

قضية الشعر الحديث



للككتور
محمى على سرزوق
تقديم
المترجم الدكتور محمد مندور





المكتبة

المليحة الوطنية

و

قضية الشعر الحديث

للكنود

عالمى على سرزوق

تقديم

المرحوم الدكتور محمد مندور

الفهرست

الصفحة

الموضوع

٣	١ - بيان وإهداء
١٢	ب - شعر الريادة الاجتماعية للدكتور مندور
	ح - وقائع الملحمة
٣٢	١ - إصرار
٣٨	٢ - ثورة أب
٤٣	٣ - رجل الاقطاع
٤٧	٤ - الزحف الأخير
٥٢	٥ - الزحف المقدس
٥٧	٦ - شعب وملك
٦٣	٧ - بحيرة الدماء أو دير ياسين
٦٦	٨ - على أرض المعركة
٧٠	٩ - طيف الربا
٧٦	١٠ - ربيعي
٧٩	١١ - مركب النصر

الفهرست

الصفحة	الموضوع
٨٢	١٢ - أمة واحدة
٩٠	١٣ - بور سعيد
٩٧	١٤ - شهيد
١٠٤	١٥ - انتفاضات الشعوب
١١٢	١٦ - الشعب العظيم
١٢٠	١٧ - فاروق

و - قضية الشعر الحديث

١٢٦	١ - الرومانتيكية في الأدب العربي الحديث
١٤٤	٢ - " " " الأوروبي
١٦٥	٣ - الواقعية النقدية
١٨٢	٤ - الاشتراكية
٢٠٥	٥ - هود على بدء
٢٠٩	هـ - المراجع

تصويب

الصواب	الخطأ	الصفحة السطر
بالسوط	بالصوت	٣ ٦٧
إخدع	إخداع	١ ٨٣
من سلاطين الكهوف	من ممالك العراء	٤ ١٢١
وحضارات العراء	وحضارات الكهوف	
epistimology	epistomology	

المرجع المذكور في ذيل ٢٠٦ كرر خطأ

ديوان

الملحمة الوطنية .

و

« قضية الشعب الحديث »

للكنور

ملهي على مرزوق

دكتوراه في الآداب ولسانسه في القانون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَيَانٌ وَاهْتِدَاءٌ

هذه والملحمة الوطنية، هي الفصل الذي عشناه من فصول الثورة المتصلة في مصر منذ الحملة الفرنسية ودخول الشرق في حيز الاستعمار العالمي ، وهو أشدها خطراً في حياة الشعب المصري وحياة الأمة العربية لأنه يفرق بين عهدين متدابرين في كثير .

فلقد أفضى انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى نكبة
فلسطين في عام ١٩٤٨ ، وانفعلت نفوسنا في صباحها على ذلك
العهد بما نقيته من ضلع الاستعمار في هذه النكبة ، وبما
كشفت عنه من فساد في الحكم لم يسبراً منه أحد من الملوك
والأمراء ، أو الحكام والعظماء ، سواء في مصر أم في العالم
العربي .

وتلاحقت الأحداث بعدها تلاحقاً شذ عن الضوابط
والقوانين ، كان الناس يصبحون معه على غير ما يمسون ،
ويمسون على غير ما يصبحون ، فكانت ثورة ٢٣ يوليو

سنة ١٩٥٢ م خاتمة طبيعية لهذا القلق النفسى والسياسى والاجتماعى ، وفاتحة عهد اختلف عما قبله فى طبيعته وما تفرع عليها من المشكلات ، وفرق بين عهد قصاراه النقد أو النقض وعهد يزيد عليه البناء أو إرادة الصياغة والتغيير.

ولا أريد بذلك أن أضيق على هذا « الشعر » ، وموضوعه هذه الأحداث ، ما قد يكون عاريا عنه من ملامح الواقعية وخصائصها ، فلنا فى تفصيل ذلك رأى يراه القارئ فى « قضية الشعر » التى أثبتناها آخر الديوان ، وإنما نريد فى هذه العجالة أن نبين وجه التدابر بين طرفى هذه الحقبة

وطبيعة الأحداث التي تولف وقائع هذه الملحمة وقصائدها .

ولقد كان مقدرنا لهذه الوقائع أن تنتهى بمسركة

بور سعيد ١٩٥٦ م . وما كتبناه فيها من قصائد كانت آخر

ما سمعنا أساذنا الدكتور منسور فأملينا علينا بعدها مقدمته في

غضون عام ١٩٥٧ م . إلا أن البحث والدرس إلى غيرهما من

شئون الحياة صرفتنا عن الديوان ونشره ، وكان في ذلك الخير

فيا أزعج ، فلقد جاءت القرارات الاشتراكية عام ١٩٦١ م .

فكتبنا قصيدة « الشعب العظيم » ، ثم مات « فاروق » فأضفنا

هذه وتلك إلى وقائع الملحمة لتسكون خاتمة بمعنى من المعاني
يصح الوقوف عندها .

وكان حريا بنا أن نثبت القصصائد كما جاءت واحدة
بعد الأخرى ، إلا أننا لم نلتزم ذلك على إطلاقه لاختلافها في
الضعف والقوة أو التقليد والتجديد أو الرومانتيكية والواقعية
أو غير ذلك من الأمور التي لا يحصى من النزول على حكمها
في التقديم والتأخير دون الإخلال بمجرى الملحمة أو تتابع
الأحداث .

أما عن «الملحمة» ، أسما لهذا الديوان فأمر لم نصر إليه

اقتفاء لآثار الغرب ، ولا استكمالاً لنقص زعموه في الأدب
العربي، فالملاحمة كما قلنا في كتابنا عن النقد والتفكير الأدبي...،
ليست مزية مطلوبة في العصر الحديث ، وإنما هي مزية
مرهونة بعصرها مستحبة من أهل زمنها ، وحسبنا من هذا
الاسم تلك الوحدة الجامعة لأحداث الديوان والصدور فيها
عن الحماسة القومية والذات الجامعة التي تناط بها خصائص
الشعر الملحمي عند النقاد ومؤرخي الآداب .

وإذا كان أستاذنا الدكتور مندور قد سبق إلى دارالبقاء
فإنه قد ترك في أعناقنا ديناً ضخماً لا يقتصر على حفز الهمم

وتألف الانصار والناميد وإنما امتد إلى المكثرة بهم
والاعتداد بمواهبهم وآدابهم فكان بذلك أباً وشيخاً وأستاذاً
يهدى إليه أحب ما يهديه تلميذ لأستاذه .

فإلى روح أستاذنا وشيخنا الدكتور محمد مندور

أهدى هذه الملحة أو هذا الديوان ؟

ج . ٠٤

١٩٦٧

شعر الريادة الاجتماعية

بقلم

الدكتور محمد مندور

نشرت يوما في جريدة « الشعب » مقالا عن تطور الشعر العربي الحديث وميزت في هذا التطور بين ثلاث مراحل .

المرحلة الاولى

تمثل مرحلة البعث للشعر العربي بديباخته القوية الخالية من الزخارف اللفظية السقيمة التي كانت تشبه الزخرفة على ثوب خلق ، ولكنها من جهة المضمون كانت تجرى في محيط الوظيفة التقليدية للشعر العربي ، وهي تسجيل الأحداث الاجتماعية والسياسية والتعليق عليها ، فكان الشعراء أقرب ما يكونون إلى الصحفيين أو نفر من الصحفيين الذين يتابعون الأحداث ولكنهم لا يسبقونها ، ف شعر تلك المدرسة التقليدية أقرب ما يكون إلى التسجيل والمتابعة منه إلى القيادة

وتوجيه الأحداث ، وهذا هو ما نجد عند شعرائنا التقليديين الذين ابتدأوا حركة البحث الجديدة في شعرنا المعاصر من أمثال البارودي وشوقي وحافظ ، في عصر لم يكن الأديب أو المفكر يستطيع أن يستقل بالرأى ويجهر به ، بل ولم يعرف هو نفسه ذلك الرأى لتشتت الأفكار بين التيارات المختلفة ، حيث كنا نجد من يناصرون الجامعة العثمانية أو الخلافة والوحدة الإسلامية أو يؤثرون الوحدة العربية أو الوطنية المحامية ، فضلاً عن كانوا يحنحون سراً أو علانية إلى الغرب وحضارته ، ولو ساقهم ذلك إلى مهادة الاستعمار والطنيان الأجنبي .

المرحلة الثانية

كانت المرحلة الثمانية وليدة تلك الحملة القوية التي قادها

جماعة « الديوان » وبخاصة الأستاذان عباس محمود العقاد
وأبراهيم عبد القادر المازني اللذان هاجما الشعر التقليدي مهاجمة
عنيفة واتهماه بأنه شعر مناسبات رخيصة ، وتبعية ذليلة
لذوى السلطان ، وقالوا إن الشعر وجدان ، وآزرهم في هذه
الدعوى شعراء المهجر وعلى رأسهم الأديب الناقد ميخائيل
نعيمه ، صاحب كتاب « الفربال » ، الذي عاصر كتاب
« الديوان » .

وإذا كانت هذه الحملة النقدية لم تصاحبها حركة خلق
شعري تساير هذه الدعوى فإن جماعة « أبولو » التي تبلورت
حول المجلة التي حملت هذا الاسم في المدة من ١٩٣٢ الى ١٩٣٥
قد حققت الدعوى إلى الشعر الوجداني على أوسع نطاق ،
وإن اختلف هذا الشعر عند شعراء هذه الجماعة باختلاف

الأمزجة الفردية ، فرأينا الوجدان الثائر عند (الشاذلي)
والوجدان الأيقوري المنبسط المتفتح لمباهج الحياة عند
(علي محمود طه) ، والوجدان الظالم إلى الحب ، المتفجر
لهفة عند (الدكتور إبراهيم ناجي) ، والوجدان الحزين
المنطوي الشاكي عند (حسين كامل الصوفي) .

وقد عززت تضاريس الحياة العامة هذا الاتجاه ، إذ
كان يحكم مصر عندئذ مستبد طاغية يستند إلى سلطان الانجليز
والسراي في هذا الوقت هو « اسماعيل صدقي » ، الذي كتم
الآفواه وحال دون الحديث في مشاكل الوطن والمجتمع ،
فلم يعد أمام الشعراء مجال غير الحديث عن وجدانهم الفردي
وآلامهم وآمالهم ومباهج حياتهم الذاتية .

وحطم الشعب القيود، ونما الوعي الاجتماعي في البلاد،
فإذا بجميلنا الجديد يعيب الشعر الذاتي، وينفر من وجدان
الذات الفردية، وينتقد الفن للفن وأصحاب البروج العاجية
ليطالب بالعودة إلى الشعر الاجتماعي وإلى مشاكل المجتمع
والوطن وقضايا الكبرى ولكن في هذه المرة يأبى أن يكون
الشعر سجلاً للأحداث وتابلاً لها، ويطلب الشعراء
والأدباء بأن يصبحوا رواداً للمجتمع، يعرفون ما يريدون
لمجتمعهم، ويلتزمون بالكفاح عما يريدون لهذا المجتمع
باعتبارهم أفراداً فيه، يصيبون من خيراته، ويشقون بمحنه
ويعتزون بعزته، ويدلون بذله.

وهكذا لاحظنا موجة العودة إلى الشعر الاجتماعي،
ولكن على أساس جديد غير الأساس الذي ساد عند من

نسميهم الآن بالشعراء التقليديين ، ورواد حركة البحث الادبي الجديد ، وهذا هو جوهر الاتجاه المعاصر في شعر جيلنا الناهض وإن اختلفت تسمية هذا الاتجاه وأطلق عليه البعض أنه « الأدب في سبيل الحياة » ، وأطلق عليه آخرون «الاتجاه الواقعي» ، وقال نقرثالث إنه «الاتجاه الاشتراكي» الذي عززته ثورتنا الناهضة بفلسفتها الاجتماعية الجديدة .

هذا هو التخطيط الذي حاولت أن أظهر مراحله في المقال المشار إليه ، ومع ذلك لم يكفد يظهر هذا المقال حتى انبرى أحد مشايخ الأزهر القداماء ليعارض هذا الرسم البياني الذي لم أمله على تطور شعرنا المعاصر بل استقيته منه في أمانة واستقصاء .

وقد زعم ذلك الشيخ أن الشعر بل والأدب عامة
لا يمكن أن يسبق الأحداث ولا أن يقودها أو ينهض بمهمة
الريادة ، بحجة أن الشعر انفعال ، والأديب أو الشاعر
لا يتفعل بالأحداث إلا بعد وقوعها ، وكأننا لانستطيع أن
نتفعل بفكرة أو بأمل أو ضد ظلم أو محنة ، بل كأننا
لانستطيع أن نتفعل بأشواق الروح ، ومطالب الحياة العزيزة
وكمأن الشعراء والأدباء عبر التاريخ وفي كافة بقاع العالم لم
يقودوا الثورات ، ولم يهدوا إليها ويفشروا الوعي بها ، ومن
المعلوم أن البؤس نفسه لا يحرك الشعوب وإنما يحركها الوعي
به ، والأدباء والشعراء هم وخدم القادرون على نشر هذا
الوعي لأنهم يملكون من أدوات الإثارة والتحرك
ما لا يملكه الساسة وقواد الجيوش .

شعر وأدب الوعين من جيلنا الناهض هر - إذن -
شعر زيادة اجتماعية وقيادة لقوميتنا في مدارج المجد والكفاح
من أجل الحياة الكريمة ، وهو لا يستخدم في هذه الريادة
الأسلوب الخطابي الأجوف ، بل يستخدم أصاليب الفن
المرهفة كالقصص والمشاركة الوجدانية التي تشعر القارىء بأنه
لا يتلقى توجيهاً من الشاعر ولا وعظاً أو إرشاداً بل يشترك
مع الشاعر في الانفعال للأحداث والتلطف إلى توجيهها وفقاً
لمطالب الحياة العزيزة وأشواق الروح المتلهبة .

المليحة الوطنية

ولانه ليسرني أن أقدم لجميع مواطنينا بما فيهم شيخنا
الازهرى هذا الديوان ليرى فيه كيف يستطيع الشاعر أن
يقوم بدور الريادة الاجتماعية ، وأن يصدر في شعره عن روح
الاجتماع والمشاركة الوجدانية بينه وبين إخوانه المواطنين .

فالشاعر د حلى على مرزوق ، لا يندب فلسطين ولا
يرثيها ، ولا يقف عند التوجع على بلواها ، بل ولا يرثي
شهداء الظلم والطغيان السياسي والاجتماعي في عهد الظلم
والطغيان ، بل يصورهم تصويرا سريعا خاطفا ليوفر جهده
وطاقته الانفعالية على إثارة نخوة الرجولة في انقلوب الناس

للوطن العربي الكريم ، والانتصاف من الظلم والطغيان ،
وبذلك يقود مجتمعه ويحاول ريادته بروح الرجولة بعد أن
حدد الهدف، وعرف ما يريد ، وحاول أن يشركني أنا وأنت
وأخي وابن عمي وابن عمك في شعوره وفي هدفه ، وفي
الوسائل المفضية إلى هذا الهدف النبيل ، فهو يخاطبك
ويخاطبك من فلسطين الشهيدة بقوله :

بالذي آسأك أو أشجأك قلبي منعم
فأنا مثلك موتور وأنف مرغم
فانطلق واثار ، وثر ، أقدم ، فإني ها هنا
قد وهبت النصر آمالي وأحلام المنى
لم أعد أبصر إلاك ، إذا الخطب دنا

إنما عمرك من عمرى ، وفي جنبيك قلبي
والدم المسفوح ، آمالي ، وأحلامي وحيي

وهو عندما يتحدث عن استشهدوا في سبيل الوطن على

المشائق لا يقول :

« علو في الحياة لأوترا الممات »

وإنما يستثيرنا كيلا يضيع دم هؤلاء الشهداء هدرآ

وكي يتحقق الهدف النبيل الذي قدموا حياتهم قربانا له ،

فيقول على لسان أولئك الشهداء :

إن أنا غيب ، يامصر ، فن جوف التراب

سوف تميا روجى الحرة في عزم الشباب

وعليها من بقايا الظلم أسواط العذاب
كلما أرمين آباتي ، وقد ألجين ظهري
وجشت أمى شكلى ، تمسح الدمع بقبرى
صاح فيها دى الموتور يدارك ثأرى
سوف تحيا روحى المحرة فى هذا الأثم
سوف تحيا فى الدم المسفوح من أجل صنم
سوف تحيا عندما يأتى المساء أو الصبح
سوف تحيا فى الدم الشائر من تلك الجراح
سوف تحيا ، سوف تحيا ، سوف تحيا ، لا بمدرى
إنما تحيا وإن طال المدى فى صدر غيرى

وشعر الريادة الاجتماعية كما ترى شعر ثائر متفائل ،

لا يأس ولا استسلام ، بل فيه تفاؤل وعزم على مغالبة الظلم
والظلمة والذل :

فاحطم بكفك أو بفأسك كل هاتيك القيم
واعص الحياة ، إذا أرادت الحياة على الندم
الناس حولك ظالمون إلى الكفاح فكن يدا
تبنى وتحطم أمسها . . . وتعيد ما صنعت غدا

ويذكرني شعر « حلي مرزوق » ، باعتراف صادق
الشاعر « حسن كامل الصرفي » ، في مقدمة ديوان « الأملحان
الضائعة » ، وهو قوله :

« ان ثورته النفسية قد كانت سبباً في خروجه على
الذوق العروضي بجارة للذوق الموسيقي »

« والصرفى ، يقصد بالذوق الموسيقى هنا ، موسيقى
روحه الشائرة التي تلتبس لها أوزانها الخاصة ، وهي أوزان
لا تخرج على الموسيقى وإن خرجت على العروض التقليدى ،
فالوحدة الموسيقية عنده ليست بالضرورة وحدة البيت ،
وانما تتحقق موسيقى الشعر فى ذوقه بل فى روحه بمقومات
هذه الموسيقى وهى الحكم الزمنى أى « التفعيلة ، و « الإيقاع
الصوتى ، الذى يعطى هذا الحكم اتزانه الموسيقى ، ومن هنا
نحس أن شاعرنا لم يخترع أو لم يفتعل ترتيبا طوبوغرافيا
خاصا لقصائده بعد أن كتبها فى أبيات عروضية تقليدية ،
بل خرجت تعبيراته منغمة وفقا لنظام روحه الشائرة على نحو
ما تخرج الروح متضمنة الحنين عند مولده فى غير افتعال ولا
تصنع ولا محاكاة عمياء ، أو استجابة لبدعة سائدة .

ومن منا لا يحس نغمت روحه الثائرة في قوله عن مأساة

بور سعيد :

وصلوا اليك الجاحدون

زرق العيون ،

ليدلسوا الشرف الرفيع

وقداسة الشرق العظيم

فأبي وجدى أورثاني الحقد من زمن قديم

لذلك الشعب الوضيع .

باسم الحضارة يافكون ،

ويقتلون ، ويغصبون ، وينهبون ، ويعتدون ، ويشنقون

وبلفظها يتشدقون .

قلوا «كريم» باسمها . . .

هل تذكرين ؟

قتلوه . . . ا ا ا

قاتله و نابليون ، الدعى الطاغية ،

جلاد أحرار الشعوب الواعية .

لم تقرئ التاريخ حتى تحصدى ،

فجميع عمرك لم يزل سبعا سنين .

فتحملى ،

وتجلىدى ،

أو فأمسى . . .

ماشاء للجرح الكبير بك الالم

فأنا أبوك وكيف أعرف أن أنتقم .

أنحوك فى الميدان ، خلف الدار ، قد حملا البنادق ،

- وألساكنون بجنبنا يتربصون على المفارق .
- وجميع سكان المدينة في الأزقة والشوارع
- نصبوا المدافع .
- وبنات بواب العماره ،
- أخذن في حرص مواقع .
- والكادحون
- وبائع اللب الشجاع ،
- وجميع من سميت ظلماً بالرعاع
- كما أذاع المعتدون ،
- أيام كانوا يحكمون ،
- سبقوا إلى حمل السلاح .
- حتى الصغار يأبون إلا يشركوا شرف الكفاح .

وشعر د حلى على مرزوق ، لم يحترم الموسيقى فحسب بل احترم لغة الشعر ووسائل تعبيره ، ونأى بها عن الثرية التقريرية ، ومن المعلوم أن الشعر تصوير بياني ، كما أنه موسيقى روح قبل كل شيء ، وإذا خلا الشعر من الموسيقى والتصوير البياني خرج الى النثر التقريرى الذى لا يجوز أن يسمى شعرا . وإذا كان د مرزوق ، لم يصطنع لغة القدماء فإنه قد احتفظ مع ذلك فى شعره بنصاعة الديباجة ، وقوة التعبير فى غير تكلف ، ولا افتعال ، ومن المعلوم أن التكلف يفسد الشعر خاصة والآدب عامة ، لا من حيث شكله وخصائص تعبيره فحسب بل ومن حيث مضمونه أيضاً ، وذلك لان الأديب أو الشاعر المتكلف يفكر الفكر، ويحس الإحساس مرتين ، مرة ليدركها فى وضوح ومرة أخرى

ليحتال عليها حتى يسكننا التعبير المنسق المجتلب الذي يريد
ويظن فيه غناء ، وعند إعادة التفكير على هذا النحو لابد أن
تفسد الفكرة ، وينطمس الإحساس أو يفقدا من نضرتها
التلقائية النابضة بالحياة ، ومن حسن حظ شاعرنا أنه لم يقع
في مثل هذا الخطأ ، فجاء تعبيره ومضمونه متلازمين
لا تستطيع أن تقطع بأيهما أفضل وأكثر إثارة إلا إذا
استطعت أن تجزم بأي شفرتي المقص أقطع .

محمد ضرور

سنة ١٩٥٧

المجلس
البيروت

إحسان

سنعيش رغم الحوادث

ورغم ما تذر القيود . .

من البلاء .

وبرغم كل التافهات

شعباً يسود

وله مكان في الحياة

وله وجود

وله أمل

وله كيان كالجميل

تهوى على جنباته ابن الزمن
ليعود مرفوع الجبين
في وقفة العملاق يهزأ بالمحن
وبكل ماصع الطغاة . . ويصنعون
ويهزأ بالسجون
وبغضبة الجاه المزيف وامتماضات الجنون .

*

خطت عليه يد القدر
من قصة الطغيان آلاف الصور
فما استكان ،
ولا برم
ولقد ألم .

زحمته في عرض الطريق
مواكب لا تفتسي .
فلكل حي زاهروه
ولكل طبل قارعه
ولكل شيخ تابعه
وتابعو أتباعه ،
والعازفون له بماذا يشتهي .
ولكل دجيلة ، أمم
يسعى بها حرص ويقتلهم نهم
والبائعون نفوسهم يبيع السلم
مثل الذباب ..
يتهاقون

في كل عرس يطعمون
ويرقصون ، ويشربون ، وينعمون ، ويطلبون .
والقارع الطبل الكبير
يسمى بذمة من أناب
لا تغضي أو تعجب
إن كنت جاهلة بما لم تعلم
فجميعهم هذا البلاء ،
والأدعياء . . .
من كل فج ينسلون
مثل الوباء ،
يزوون ما بين الحواجب والجبين
ويفلسفون لك الغباء

زكموا أنوف الكادحين
ومشوا عليهم في التراب
لا يسمعون أنينهم . .
إلا كما سمع الغراب
سخافة «العهد القديم» .

*

سنعيش شعبا لا تضعه الخطوب
لم تعرف الأحداث إلا منه إصرار الشعوب
شعب غنيد
عيناه في الأفق البعيد
تستصرخان طلائع الأحرار في أرض العبيد
ولسوف يبلغ ما يريد

ويرد قافة الضلال
إلى الوراء ..
خلف الجبال ،
أو الوهاد أو الرمال أو التلال
تطغى عليها السافيات
فلا تعود ،
ولن تعود .

ثورة أب

أبني لا تضحك ولا تبسم وكن مثلي أنا
أبكي على تلك الحياة هنا وأنمي حظنا
قد راح يلعب هذه الأرض الخبيثة قبلنا
شيخ، تبدلت الحياة به ولم تصدق معه

إلا كما لمع السراب بجفنه كي يخذله

*

أبني لا تضحك ولا تبسم ولا تك إمعة
فلأنت من طمس الضلال ، وليس يعلم ، مدمه
فأثار لدمع شقاء قومك جاهل من ضيعة
فأنا ، وعمك ، وابن عمك قد أذلتنا القيود
نخطو نساءل ما النعيم ؟ وما الحياة ؟ وما الوجود ؟
أحكاية تروى بأفواه كأفواه الصغار
ما برها صدق ويعوزها دليل كأنهار
أم تلك أوهام .. كأوهام الجنون الظاهرة
ومناك دنيا للسعادة غير دنيا الآخرة ؟؟

قالوا . . . وأكد صاحب الدين الحنيف يمينه
كذب المحدث ما أضل حديثه ويقينه

*

أبني لا تبسم فما تجدى ابتسامات الغرير
في معبد الشيخ البتول وملعب الملك الكبير
هذا له قلب الجبان ، وذاك تحميه الالوف
ولانت.. أنت.. كما خلقت ، تعيش في تلك الكهوف
النور ينبع من جبينك ، لا إليك ضياؤه
والمجد تصنعه لغيرك حايه وبهاؤه
والشهد تطعمه ، على سغب ، نفوس الجاحدين
لتموت أنت بعشك المهجور كالكلب المهين
أعداء أرضك ساءم تعرى ويقتلهم نهم

فُشروا على كعبديك سخريّة بأطراف القدم
ألفوا أنينك في المساء وصرهم يأتى الصباح
وأبوك مشدوداً إلى الطنبور تأكله الجراح
وأخوك في مهد الطفولة هدمته يد الكفاح

✽

لكن لبسّمك البريّة في دمي ألم يشور
ولها بقلبي ثورة حمراء خالطها الدم
فأنا أبوك وللأبوة قلبها الحامى الجسور

✽

هم ذلك اللص الكبير وأنت أظهرم يدا
لم يعرف الظهر المجنّح غير قلبك مرقدنا
فابسم لدميتك البريشة ما تشاء فما منا

قلب سيفرش بالدم القاني سبيلك للمنى
ولسوف تخطو فوق جمجمتى .. وجمجمتى أنا
أقسمت أن تحيا وأن تحيا على أرض المجدود
أقسمت أن تحيا كأسمد ما يكون بها سعيد
أقسمت أن يعنو الزمان وأنت تبسم من جديد
فأبوك من خلق الجمال وهم قساوسة المجدود
بالوا على قيم الحياة ودنسوا هذا الوجود

*

رجل الاقطاع

نسيك مطرقة يدق بها أبنى فوق الحديد
ليصوغ من صلب الحياة لك السعادة من جديد
والفأس لم تعرف سوى كفى في هذا الوجود
وأنا المكب على الثرى أرويه من دمي أنا
أما عيونك فهي لم تعتد سوى طيف المنى

وبنائك المخضوب لم يَألف سوى لمس النهود
نسيتك أحزان الأب المكدود والزمن الجحود
نسيتك أنفة كادج سَم الحياة وملها
فَعدا يراجع في المنية شوقه وجمالها
وجهلت لما غاب عنك اليأس من ألم الصراع
والفقر لم يبعث بقلبك بعض أحلام الجياع

*

نسيتك هاتيك الروى بين الكواعب والخدور
نسيتك أو أنسيها بين الماخر والخنور
فغدوت مثل الصخرة الصماء والطفل الغرير
يرنو فيضه كالتجهم في أسارير الرعاة
ونسيت أنك قد سلبتهم الحياة مدى الحياة

لتعيش للصبح الجميل ، وكى يلد لك الأصيل
فالبؤس والحرمان لم يعرف انفسك من سبيل
إلا ابتئاس العاشقين ، ورعشة الأمل الجميل

*

ونسيت أنك ترتوى دمي وتطعم من فمي
ومباهج الكأس التي تحسو هنيئاً من دمي
وأنا الذي رقصوا على أشلائه حياً بنوك
طوراً تسابق بعضهم رجسا وأنا سابقوك
ومشيت عتالاً بهم بين الحفاة الكادحين
علتهم كيف الحياة على شقاء الآخرين

*

كلا ، سينبتق الدجى عن فجر يوم قطير

عبست لمقدمه السماء وزغردت فيه القبور
كلا . . سيفير الضحى يوما وتنشق السماء
والجن تنسل مثل يأجوج تعربد في الفضاء
وأنا ساحل معولى وأبى سيزعق في العراء
وأخى سيحطم قيده . . ليعيش مثلك فى الحياة
ولسوف تضحك للحفاة الثأرين وللرعاة



لكن جمعهم الكبير غدا . . سيفشى مخدعك
ولسوف تعلو هذه القدم الشريفة مدمعك
لتعود تضحك من جديد . . للسعادة والشقاء
لكنها ضحكات موتور تسربل بالقضاء



الرحمة الاخيرة

سأظل أعمل للصباح ولى أمل . .

أمل كبير ،

فى أنه الشيخ الذى ضاقت به سبل الحياة

وفى ابتسامات الغرير .

في دمة المحتاج ، في القلب المذبذب ..
قلب أشباه العراة
وسألت ما شأن العراة ؟ وما الحفاة ؟ وما الرعاة
فأجبتُ هم شعبي .. وهم قومي أنا
فجميعهم يسعى على قدم ويهتف للذي
ولهم رجاء ..
كرجاء سكان السماء ،
ولهم وجود
كوجود إنسان يعيش ،
ولهم غضب
قد ثر أساس العروش ،
ولهم هنا .. حق تعلق بالوطن

فهم الذي حفر القنائة
وثار في وجه الطغاة
وعاش بقات المحن
فحملت عنهم كل أحقاد الزمن
ورحت أنفث ما بنفسي من طيب
فثرت بالأمس القريب
وسألت ما لب النفوس ؟
فكنت أول من سأل .
ورأيت آثار الشقاء تشع في غضب المقل ،
ودخان عاكفة على السندان تطرقه حزينه . .
وظلام آفاق المدينة ،
بفؤاد موتور كسير . .

فقد الثقة

بسياحة الأرض الطهور المشرقة .

كتفته أوضاع الحياة . . . فعاش للزحف الأخير 111

ورأيت سكان القبور ،

وتجهدا يعلو جباها تهرق ،

طفحت عرق

واحمر في لون الشفق

صدر عريض

قد كان بالأمس المدنس والبغيض

ضحية الجاه المزيف والثراء الفاحش

فعاش في كنف الحياة الموحش

فعرقت ما هب النفوس

وما انتفاضات البشر . . ؟؟؟

وكيف سخرني القدر

لأفود معركة السلام

وأرود قافلة الزمان

إلى الحياة . . إلى الأمام . .

إلى غد لا يعتفر ،

فلى بنسون

أخشى عليهم من تفاهات الظنون

أخشى عليهم من غيابات السجون

ولي قسم

أن أنتقم !!!

ولي أمل

في وثبة الشعب الذي ألف الكفاح
ولسوف يرتاد الصباح
في ذلك الشعب الذي وهب الحياة لنفسه
وغدا سيصيح في العراء على بقايا أمسه

الزحف المقدس

لا ، لن أمد يدي إليك كما تشاء . . بما تريد
ورضيت تأكلك الرياح الهوج والبرد الشديد
ورضيت ترقص في العراء على الصقيع مع الكلاب
تشتي ويقتلك الأسي صبراً . . وتنشك الذئاب
وتنام فرق الوحل مقروراً يغطيك السحاب

ورضيت بجمد حيث أنت كما ثجمدت المياه
لا الموت يعرف قلبك العاني.. ولا طيب الحياة
لتظل في الأحياء مفقوداً وفي الأموات حياً
لا صاحب القصر المنيف .. جبينه طلق المحيا
أبداً .. ولا العرش الكبير يظل إلا ربه
وبنيه والقوم السجود .. وعابديه .. وكلمه



ولأنت يامعتوه ، لا تنفك في هذا الشقاء
تستصرخ الأرض الكئيبة بين أطلال العراء
لتجيبك الآفاق كالحة بالوان الجفاء
ترجو وتأمل حيث لا أمل هناك ولا رجاء
والمنزى المعمور فيفاض بأنعام المساء

قطرت منافذه المغلقة المهاجر بالضياء
وبنوك حولك كالشياه الظامئات إلى الحنين
الريح تصرخ في رقوسهم كصرخات الجنون
نثرتهم الأقدار قربانا لعباد السترف
لا يعرفون من الحياة سوى وجوه السافرين
وتجهم الشيخ المعمم وامتعضات الصلف

*

ضحكوا لافاق السماء فردم صمت قدر
ولانت يامعتوه ، لاتنفسك في كف القدر
تهذي بأحلام عجاج ضيعت جداً وعم
فاحطم بكفك أو بفأسك كل هاتيك القيم
واعصر الحياة إذا أرادتك الحياة على الندم

الناس حولك ظالمون إلى الكفاح فكن يدا
تبنى وتمحطم أمسها وتعيد ما صنعت .. غدا

إني أردت وفي إرادتي الوجود إذا تشاء
فأنا وأنت وقلب أمك في الحياة له رجاء
حاكوا مؤامرة السياسة والحكومة والقضاء
كي يسابوك رؤى النعيم ويسلبوك إلى المحن
فانزع إلى انفجر الجديد وطلق الماضي العفن
رغباتنا الهدى الكبير .. فنحن أبناء الوطن
ولنحزن من خلق الضياء .. فكيف يغشانا الظلام
ولسوف تخطو في الغد الآتى على هام الأنام
هي قصة الزحف المقدس وانتصارات السلام

شعْبٌ وَمِلْكٌ

الهوى الثائر فى جنبيّ . . . لا يشبع حسى
والجوى المشبوب أصداء لما تخفيه نفسى
فأنا يامصر كم أترعت من حبك كأسى
ولكم همت بما غنى له قلبى أنا
وأبى لازال يهتز لذكراه هنا

نعم ثمنى يوم لم تبخل يداك بالمنى

*

وأخى فى مفرق الارض وكم يأتى الربيع
ضاحكا غنى وكم غنى لواديك المريع
لم يعود جفوة النيل ولا يبس الحمساد
فالمروج الخضمر لم تخلف له صفو الوداد
وابن عمى خاشعا آوى هنا وتهجدا
فعلى أرضك أجدادى بنوا لى معبدا
وبنوا لى غيره مجدا بعزم من ثبات
لم تزل آثارهم ترنوا الينا شاخصات
عابسات ، هازئات ، ضاحكات ساخرات !!
لست أدرى . . إنما تعرفوا إذا أرنو فوادى

هزة المجد ويصروني انتصار لبلادى

*

سوف لا أعفو، فكم يامصر عفوا قد أتيت
ولكم أطعمت من قوتي خسيسا وسقيت
وعلى كاهلي الواهى له عرشا بنيت
كى يكون الذخر إذ ناديت أو عونا ليه
فشى يختال فى قوى بفضل ردائه
وعليه من غرور الجاه لمع شقائه

*

إن أنا أحجبت يامصر، فن يحمى حمايا
أهو ذاك الجاحد المطعوم من ذوب دمايا
أم تراه ذلك الشيخ وقد شاب الرياء
بين جنبيه فلم يعرف به طعم الوفاء

أم ترى الأعداء يحمون إذا نمت الحمى
ولقد عاثوا فسادا وأباحوا محرما

*

هذه ، أرضى ، وذا نبتى ، وذا حرثى وغرمى
وأبى بالأمس كدحا شقها قبلى بفأسى
وأخى يحمل فى جنبيه ماتحمل نفسى
راح فى المصنع يغشاه بمنخضل الجبين
وعليه من شقاء الدهر حلم الثائرين
يطرق السندان فى عزم الكأدحين
سوف لا أثار يامصر . . فإن الثأر عار
إنما أبطش بالطاغين فى عقر الديار
ولادع غيرى جباننا ساخرا هزوا به

وأنا أبني له مجدا بذوب دموعيه
فهو مثلي .. وأنا في الذل أحيا مثله
غير انى قد وهبت العمر فضلا دونه



إن أنا غيبت - يامصر - فن جوف التراب
سوف تحيا روحى الحرة فى عزم الشباب
وعليها من بقايا الظلم ما يشبه أسواط العذاب
كلما أرهبين آباءى وقد الهبن ظهري
وجئت أى نكلى تمسح الدمع بقبري
صاح فيها من دم الموتور ما يطلب ثارى
سوف تحيا روحى الحرة فى هذا الألم
سوف تحيا فى الدم المسفوح من أجل صنم

سوف تحيا عندما يأتى المساء أو الصباح
سوف تحيا فى الدم المسفوك من تلك الجراح
سوف تحيا ، سوف تحيا ، سوف تحيا لابصدى
إنما تحيا وإن طال المدى فى صدر غيرى

بحيرة الدماء

أو
(دير ياسين)

في الفضاء الرحيب . . في صفحة الأفق يشع منها الضياء
أفعتها يد القدر العاتي . . فسالت على شفاها الدماء

فهي كالعطر في عبير شذاها ، كلال محوطه الظلماء
كحبال .. كعريف .. كحلم .. كسراب تضمه الصحراء
قطعة من ربي الخلد في فلسطين عليها تصافح الشهداء
تتزي من الرمال اليها .. قطرات من دم حمره
وخرير الدماء فيها كلحن مثل لحن الحزين رجع سواء
نعم يبعث الجلال فتعرو هزة النفس رعشة هوجاء
كلا خيم السكون عليها .. هاج أوتار نوحها الجبناء
وعليها من فج تروى بلظام أجنسة أبرياء

*

إفض «صهيون» ما أنت قاض إن جهد الجبان غدر هباء
فعدا تلتقى الجيوش فأشبع نهم النفس من دم ماتشاء

ثم جدد إن أسطعت (ياسين) فإننا علينا الفداء
لم تعود نفسك الخسيسة إلا وثبة الذئب والربوع خلاء
دولة الزور ساعة وسواها دولة الحق ما أتيسح البقاء

على أرض المعركة

ها هنا من جنن آباءى دموع ودم
ها هنا اطبق كف وتراخى معصم
وعلا باسم بلادى ها هنا يوما فم
تحت قصف الرعد نادانى بصوت موجع

وعلته صفرة الموت . . فناداك معي
فانطلق للشار واستعدى أفانين الحياة
ولتدع بالسيف أو بالصوت إرجاف الطفلة
إنما خصمي خصمان عدوى وسلاحى
فلتكن أنت يمى إن أنا هيض جناحى
بالذى آساك أو أشجاك قلبى مفعم
فأنا مثلك موتور وأنف مرغم
فكلانا قيد رى الدهر بسهم يؤلم

*

فانطلق واثار ، وثر ، أقدم فانى ما هنا
قد وهبت النصر آمالى وأحلام المنى

لم أعد أبصر إلاك إذا الخطب دنا
إنما عمرك من عمري وفي جنديك قلبي
والدم المسفوح آلامى وأحلامى وحبى

✽

هاهنا قد صاح فى قلبى نداء مبهم
خائفا يشتد فى نفسى إذا ما أحجم
فعلتى رعدة الموت وسيفى مثلهم
خائفى من خان آبائى وأغراه دمسى
فجئنا ينهش أضلاعى ويفرى أعظمسى

✽

فليكن سيفك من خلقى إذا مارحت أعدو
ربما ألقاه أو يلتقى دمسى فى الأرض لحد

ولتكن أنت على عهدك ما أخلف عهد

*

هذه أرضى وهناك اللواء المعلم
ودمى إن سال لم أضجر بها أو آلم
فهي منى وأنا منها حياة ودم

*

طيف البرياء

حملت كفه الكؤوس مليئات ، وولى ينساب بين الجموع
ساخرا ، يعبر الحياة ويستقى .: كل آت إليه جم الخشوع
أرقصت حوله الكؤوس كثيرين ، فضايق الرحاب وهو وسيع
أسكرت جمعهم فباتوا صراعا .: ونداء الضمير غير سميع

كلنا هم بالكؤوس قليلا .: . بحن بالجمع شاسعات الربوع
قلت من أنت ؟

مالك تسنى .: . هؤلاء الوفود مزج الدموع
وعجيب تدنوبكاسك منى .: . وفؤادى يمجه فى قنوع
أنت سر ۱۱

لا ، ولا كنت منه .: . إنما السر بين طى الضلوع
أناسر عن المصبيخ ، وجهرى .: . أنى السر فى صدور الجميع ۱۱۱
لم يكن بحك الخنور اللواتى .: . لحن فى الكأس غير معنى رفيع
واعحاء الضمير فى عالم الشيب بلاء أشاب رأس الرضيع
قلت من أنت ؟

قال عزوف .: . عن شفاء الأبرار طهر الركوع
فبخمري أعيش فى عالم الآ .: . رض ، وكأسى رائدى ومطيعى

قلت : طيف الرباء ا ا ا

قال : وكأسي .: مازهاها مزاج سم نثيع

*

آمتى الحياة مذ عشت فيها .: بفؤاد يابى على خضوعى
راهب خاصم الحياة فأحنى .: يلعن الدهر فى الزمان الوضيع

يارسول الله

يارسول الله ما لقياك في العالم صعب
أنت في عزيمة أحرار إذا للحق هبوا
وعلى الطاغين في الآفاق لاتنفك حرب
يارسول الله ما لقياك في العالم صعب



أنت في غضبة موتور سعى للشار غضب
أنت في أهبة مشتاق إلى العلياء وأب
أنت في جوف شهيد يرتقى للموت قلب
أنت في دمه الطاهر إيمان وإشراق وحب
لم تزل تعصف بالباطل أياك يشب
يا رسول الله ما لقياك في العالم صعب

*

أنت فوق الشك إما عانت الآفاق ريب
جئت والدنيا كما شاءت بها الفوضى تخم
دولة الظلم لها في الأرض حكام وشعب
ومليك ألهته الطاعة العمياء رب
وعباد سادر في الجهل يزداد ويربو

وضمير قد خلا إلا من الأوهام جذب
كنت ركب الهدى والعالم للشيطان ركب
والذي جنباه من جنبيك لا يعيه طب

*

يا رسول الله إن يعصف بنا في الأرض خطب
فضياء ليس من نور الهدى لاشك ينجو
وجياد لسن من خيالك في الميدان تكبو
يا رسول الله ما قياك في المسام صعب

ربيعي

سألتني عن الربيع ..!! وقلبي راهب غره سراب الاماني
قلت: هذا الربيع تعنين؟؟؟ قالت : وجمال الربوع فيها سباني
قلت: والزهر والرياض..؟؟؟ فقالت وارتعاش الظلال في الخلدجان
قلت: والصفور في السماء..؟؟ فقالت: وانطلاق المصفور في الطيران

قلت: والخصن إذ يميد...؟ أجابت: وحفيف الأوراق في الأغصان



آلمتني ولم تزل تنغى بجمال الربيع والوديان
قلت: فالليل، هل أباح دجاءه..!! أم أباح الفؤاد للاحزان
وبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها النشوان
وانبلاج العباح هل عاد باليمن فيرجى من موحشات الزمان
أم ترى عوده إلى نهراً مثل عود السراب للظمئان
والذي قلبه كقلبي معنى عنده الصبح والدجى سبان



هذه فرحة الفراشة في الحقل.. وعيد الزهور في البستان
هذه فرحة الطيور والطيور اغتباط بزرقه الغدران

هذه فرحة الحياة .. فهل شئت الحياة في وجداني
لم أعد أبصر الحياة زهورا .. وطهورا تسعى إلى الأفنان
فربيعى وقد سألت وجودى ووجودى رهين بعض الأمانى



موكب النصر

أنت في دهري كالحلم إذا يغشى فؤاد السامر
آسر الرؤية فياضا بإيمان القوى القاهر
كلما طوف في قلبي تلقاه يخفق ظامر
وعليه من شعاع النصر أحلام الفؤاد الثائر

عنده ترفض آلامى حولى كارفضاض السامر
والذى جرحه الماضى لياسوه جلال الحاضر
وأنا لازلت كالمشدوه فى حلم مشوق ساحر
وعلى وجهى إشراق ، وإشفاق ، وبين الصابر
خلته من فرط هاتيك الرؤى وهما تغشى ناظرى
واشرب الدهر فى قلبى يرنو كالعبي الصاغر
أهبة الموتور أعياء على ظمأ جهاد الواتر
حملته فتيه حفت بإيمان وقلب عامر
بعثت فى موكب يسرى إلى هذا الوجود العائر
حولها الآمال تنساب من الماضى السحيق الغابر
خافتات ، باغمات ، شاحبات كالشعاع الفائر
حطمتها سطوة البغي فماتت فى سماء الخاطر

واحتواها حلقة السجن فداشت في ظلام غامر
بين ذل ، واكتئاب ، وعتو ، وامتحان سافر
مثلها تحيا بقايا الطهر في قلب الغوى الفاجر

*

كانت الأحلام كالأوهام في مصر خيال الشاعر
ونفوس غاضت الآمال فيها كالخطام الدائر
يعبر النصر عليها ثم يمضي كالسراب العابر
رده عزمك فارتد إليها في جلال الأمر
أنت في دهرى كالحلم اذا يغشى فؤاد الساحر
والذي جرحه الماضي ليأمره جلال الحاضر

أمة واحدة

أخى فى العراق ..

وفى سورية ،

وفى الأردن الحرة الواعية ،

أخى فى الجزائر بين السماء

نسيب على إخداع من شهيد
وأخرى تلتخ وجه الرمال
أخى فى الجنوب ، .
وفى كل أرض عليها رجال ..
رجال أسود ،
لهم عزيمة فى الكفاح المرير
تهد الجبال ..
وتقرع باب الحياة الكبير

*

أخى فى الحنين ..
أخى فى الأنين ..
أخى فى الأمل ..

وفي الذكريات التي لم تزل
تلتطخ بالعار وجه الطغاة ،
وتصبغ آثارهم في الحياة
بلون الشقاء ..
شقاء الشعوب التي مصها ،
وحطم أحلامها فوقها
بقلب جحود ،
يدنس كل معاني الوجود
أخى في القيود
وفي ظمأ لدماء الغزاة ،
فأنا على موعد في القناة

*

على موعد في ثغور الشام ،
فباسم السلام . . .
وباسم الملايين من شعبنا ،
أخى قد دعوت فكن بيننا
لترفع في الرعب راياتنا
مرفرفة حرة ضاحكة
أخى قد دعوتك للمعركة .
دعوت وفي مهجتي أنتقم . . .
وأن أنتصر ،
بعزم يحرك ككف القدر
ويدفع أيماننا للعد
تحرك فإننا على موعد

*

على موعد في ثغور الشمال
نرد الضلال
ونقرع هام العدو المدود
بحد السيوف . .
وغير أنسيوف ،
ونطرحة في العراء المخيف
لذ الرمال
وقصف الزود
يدنسه ساعة من نهار ،
كقبرة جوفها من نتن
وجمجة حاكها من هنن
بلاء القفار ،

*

تُحف به الجن حف الظنون
بقلب قدر ،

وتعلو بها قهقهات الجنون
وسخرية من صروف القدر

*

أذل الجباه !!

وهانت عليه عروض الوشر !!

وقد طالما أن أباحت يداه

دما لا يهون ،

وآخر ملء حنايا الضلوع

يسيل على مذبح الاكريات

ويملؤ تاريخنا بالدموع ،

وتاريخ آباتنا بالندم .

وقد ظالما أن أشت الجميع
وفرق بين أخ وأب
كثذنة بين شعب غبي
يؤذن فيها لآلني نبي

*

أخى فى البلاء ،
وفى كل شبر روته الدماء . .
دماء الجدود ،
وجرت عليها رياح السنين
ذبول العفاء
فا تستبين .

*

سنحفظ هذا التراث المجيد
وأيامه الحرة الخالدة
ونبقى لنا أمة واحدة
بعزم الشباب
ونسمو بأجيالنا الصاعدة
لهام السحاب ..
وفرق السحاب .

*

بورپسئید

القاتلون !!!

قتلوا نبیلاً من قلیل ،

ابن نبیل ،

وهو البریء .

ولانت فوق یدی کصباح جمیل

ماعاد یشرق أو یغنیء .

حرموك أفراح الحياة . .
ومن حنان أبوتى ،
بالأمس - قبل اليوم - مثل مدينتى
قد كنت مشرقة الجبين ،
وترف فوقك كل أحلام السلام
لا . . . لن يمر المعتدون ،
لن يشربوا نخب الضلام
وتدق أجراس الطعام
إلا على أشلائنا ،
لا . . . لن يمروا من هنا .
*
الهابطون من السماء . .

لايرحمون ،

جاؤا من الأدغال . .

من خلف الجبال . .

من باريس . . البلد القذر ،

لا يعرفون من الحضارة غير دس دم البشر !!

دم الشعوب السكادحة .

ويصدرون لها البغاء

ومبادئا شاخت وزايلها البقاء

وصلوا إليك البارحة . .

فيهم فلول الانجليز ،

الدولة الشمطاء والبلد المعجوز

ليدنسوا قيم الحياة بذلك الوطن العزيز .

*

فالبائعون عروضهم تضحى لهم فينا كرامة
والخائنون الشعب أصحاب الزعامة ،
وصلوا إليك الجاحدون
زرق العيون ،
ليدنسوا الشرف الرفيع
وقداسة الشرق العظيم ،
فأبي وجدى أورثاني الحقد من زمن قديم
لذلك الشعب الوضيع .
باسم الحضارة يافكرون ،
ويقتلون ، ويغصبون ، وينهبون ، ويعتدون ، ويشتمون
وبلفظها يتشدقون .
قتلوا ، ككريم ، باسمها . . .

هل تذكرين ؟

قتلوه . . . ا ا ا !

قاتله « نابليون » الدعي الطاغية ،

جلاد أحرار الشعوب الواعية .

*

لم تقرئ التاريخ حتى تحقدي ،

فجميع عمرك لم يزل سبعا سنين .

فتحملني ،

وتجملدي ،

أو فألمسي . . .

ماشاء للجرح الكبير بك الألم

فأنا أبوك وكيف أعرف ألم أنتقم .

أخوك في الميدان ، خلف الدار ، قد حملا البنادق ،

والساكنون يجتنبون ان يترهبون على المفارق
وجميع سكان المدينة في الازقة والشوارع
نصبوا المدافع
وبنات بواب العماره ،
أخذن في حرص مواقع
والكادحون
وبائع اللب الشجاع ،
وجميع من سميت ظلماً بالرعاع
كما أذاع المعتدون ،
أيام كانوا يحكمون ،
سبقوا إلى حمل السلاح .
حتى الصفار ا ا ا
يابون إلا يشركوا شرف الكفاح .

ومدافع الميدان تقذف بالهيب
حلم رهيب ،
الأرض ، والأطلال ، والأعطاف ، في كل انبعاث ..
قد لفها شفق ويكسوها دخان .
وأصابع الشجعان ،
تدمى .. ولا زالت على طرف الزناد
تحمى البلاد .
والطائرات تنز في جوف السماء
والرعب يفتح المدينة والفضاء
ولنا عزيمه ! !

*

لا . . لن تعود الطائرات

لا . . لن تعود إلى قواعدها سليمة
فإرادة الأبطال تخلق ما تشاء المعجزات
ولسوف تكتب بور سعيد
لمصر تاريخا جيدا ،
تاريخ شعب مقدر
قد شاء يحيي مثلما تعي الشعوب وينتصر .

*

شبهيد

قال مات
لم يكن يذرف دمعة ! !
فله في الغيب سبعة
أشربوا هذا المصير .

حاربوا في الشام . .

في ليبيا . .

وفي أرض القنساء ،

واتصر

منهم كثير ،

لم يكونوا يرهبون الموت في النزاع الأخير .

عليتهم أهمهم معنى الحياة

فهي مثلى لم تزل ،

- هكذا قال البطل -

لم تزل تؤمن بالفجر الجديد .

فجر أحرار توأصوا بالدماء

فلهم - عزم شديد . .

عزم لسان يريد ،
ويضحي بالقداء ،
وله في الحق صوت يرتهب
ثار فيها دم فرعون وأجداد العرب
حين صاحت ، يوم نادت : لا تعد
لا تعود ..

عزمك الخائر في تلك القيود
دنس الأرض بأوهام الطغاة
فشي العار يغنى في الحياة
أغنيات عزفها لحن بليد
أغنيات عزفها لحن قذر
فانطلق للشار واقتل وانتصر

وانتقم للعالم الحر الذي يرعى السلام
من دعاة المهجبة
واستبح دمع الطغام
دمع تجار الحروب
دمع أعداء الشعوب
دمع قوم أعوزتهم نسيات المدنية
فأثاروا حرب غدر بربرية
ليذلوا الكبرياء . .
كبرياتي ،

كبرياء الأب والاخت التي لن تستذل
فوق أرض الشرفاء ،
فوق أرض شعبها شعب بطل .

لم يعد في العالم الحر مكان للتتر
لشعوب قد أباحت كل دم
واستخفت بالقيم
لم يعد فيه مكان للعلق
وشعوب تحترق ،
فانطلق واثار وثر
أقدم وقاتل وانتقم ،
ولتكن بين الضحايا تحتضر
أو فعد بالنصر إني أنتظر

*

ألبسته الدرع لما ودعته
ثم عادت - في حنان - قبلة

قبلة العهد الأخير .
لم تكن تذرف دمعة
فليها في الخلد سبعة
أشربوا هذا المصير .



انتفاضات الشعوب

العائدون من القتال
يتحدثون عن القتال . .
في بور سعيد ،
وعن الكفاح

في ذلك البلد العنيد .
ويصورون خطى الرجال
وجميعهم حملوا السلاح
كالرعب في حلق الحديد ،
تنساب في عرض البطاح

*

وغياهب الميدان تقذف بالشرر
وبكل نافذة القضاة
وشواهدك تندك في لمح البصر
تستودع الله البقاء ،
والصبح مغبر كثيف
تعلوه أعمدة الدخان

كالأذرع الشرماء في الحلم الخيف
وعلى الرصيف
تنزو بقايا آدمى . .
علقا وتنزف بالدم ،

*

وبكل ناحية حريق
وصدى : بكاء أو عويل أو شقيق ،
يسترحم الله الكبير
ولا شفيق !!!

*

يوم عبوس قطير
عركته أبطال شداد

فالهول والثأر المرعب ،
وهو ، وحرب لا تطاق
جمعوا على الأعداء في يوم التلاق ،
قدم العروبة لا يراق
إلا على مهج الضلوع

*

وتحدثت صحف الصباح
وصاح في الحى المذيع :
لا يشلم الشرف الرفيع ،
وكتائب الأحرار في كل البطاح
كالحصن فى الوطن المنيع

*

وَعَلَا الْجَمِيعِ

صَمْتٌ رَهِيْبٌ ،

صَمْتٌ قَدْرٌ ..

صَمْتٌ تَهْدِدُهُ الْقَدْرُ !!

فِي كُلِّ بَيْتٍ قَلْبٌ أُمٌّ يَنْتَظِرُ

رَبَطَتْ عَلَيْهِ يَدُ السَّمَاءِ ،

وَعِذَاهُ فِي صَلْفِ لَبَانِ الْكَبْرِيَاءِ .

*
وَالنَّاسُ مِنْ هَوْلِ الْقَضَاءِ

شَتَّى وَيَجْمَعُهُمْ عَلَى الْحَدْبِ الْقِيَامِ

لَا يَسْتَقِرُّ بِهِمْ قَرَارٌ ،

يَتَعَاطَفُونَ فِي دِمَامِ أَلْفِ ثَارٍ !!!

*

وجحافل الطفيان تزحف بالدمار ،

وبالخراب . . .

وبالخراب ،

وبكل أمر لا يباح

وتزحف بالجراح .

والبائعون نفوسهم بيع السماح

مثل الذباب ،

ينزو على شرف البلاد .

وتترف ألوية الغزاة

تحمي أقانيم الفساد .

★

ما ينقم الأعداء إلا أننا شئنا الحياة

ونريد أن نحيا كما يحيا البشر ،

لا تجزعي أماء : تلك عماية الجشع الأشر

قد أسلمته إلى البوار . .

إلى غد لا ينتصر ،

فكتائب الأحرار تسبق الحذر

لا تستلين لهم قناة .

ومدافع الأبطال في كل اتجاه

ترى عن الحق السليب .

وفي الوجوه

أمل وإصرار عجيب ! !

لا . . لن تذلل لهم جباه

أو تستلين لهم قلوب

لزعزعوا الإيمان في الدنيا بأحلام الشعوب

ولسوف ينتصر الحفاة

ولسوف ينتصر الحفصاء
الماضغون الصمت في سوق الطغاة
ليبددوا هذا الظلام ،
وترف فوق الأرض ألوية السلام
تخطو مع الأمل الجديد
هي قصة الطغيان والحرمات في هذا الوجود .

الشعب العظيم

تطاول فوق ربوع الزمن
برغم المحن ،
وبالرغم من خارجي حقوق
وأخر لازال ينمي القيود

ويصمى عن الشمس ملء السماء
ورأد الضحى ،
ويظلم أيامه بالبكاء
لماض تزل بالمواقف
أكب على وجهه وامحى ،
*
وغيرهما ثالث الأردلين
فعيد يشوه كل التصار
تغنت به الجن في الخافقين ،
ولو شاء شوه وجه النهار
بفلسفة الجاهل اللوذعى
ف « بكداش سوريا ، كما يدعى
تنياً قبل بسوء المصير

وقاسم للشرق جد المسير
بقلب أبي ،
و دأردن ، قد حالف الاجنبي
وألقي إليه زمام الامور ،
كان (جمالاً) إله قدير
إذا قال للشبه كن فيكون ،
عليه يبدل شيخ العراق
وغير العراق ،
بمن ذا يريد
ويقطع دابر هذا الشقاق
ويأتي لمصر بخلق جديد .

جمال زعيم آجد الحياة
وحطم في الشرق وهم العبيد
دعاة الضلال ..
دعاة الخور ،
دعاة الهزيمة بين الرجال ،
وحرك في الرعب كف القدر
ليمحو مارقش الادعياء ،
ويثبت ما يصنع الكبرياء
ويكتب تاريخنا بالدم
ويعلو على الواقع المولم ،
ويمنع أن يسترد الظلام
جيوش المغول

ونخيل التبر ،
وبغيا يدنس أرض الجدد
ويرمى حضارتها بالجمود
وتاريخها - ظالما - بالتهيم

✽

أطل على الشعب ملء العيون
كعلاق أرض أبت أن تهون
وتزحها ترهات الظنون
وتفرخ فيها بقايا النزق .
أتاح لقدرتها أن تعيش
وأن تنطلق ،
فثلت عروش

على البغى قائمها قد سوى ،
ومكن فيها لكل القوى
فجلجل كالرعد صوت مريع
بألفى شعار :
شعار المحبة ..
شعار الأخاء ..
شعار الرجولة بين الجميع ..
شعار السلام ،
شعار يذكر من ألف عام
بعزم الرجال
وخير الرجال ،
رجال العروبة بين الأنام

ثخامتهم مزججات اليسال
بما أسلفوا من يد للبشر .
شعائر ضيعها المعتدون
وأنكرها بيننا الجاحدون ،
فعاشرت لدينا كوشم قديم ..
كحلم يتسيم ..
كبعض الصور ،
نمر عليها مرور الكرام
فلا تستهام ،
ولا تبتدر .
ونزق لها إن الخ الوفاء
ونذرف بعض دموح الرياء

وكان صباح

وكان مساء .

ولاح على البعد ركب الكفاح

وفيهم رجال ،

وفيتان صدق مضوا للبحال

فردوا إليها جلال الحياة

بعزم يزلزل شم الجبال ،

ويدفع أياضنا للعداة .

*

فَارُوقُ

قيل أمات

بين خذ كأسا ومات !!!

وبقايا ذكريات

من ليال ضائعة ،

وشعوب جامعة ١١
ذكريات طولها كم ألف عام
عاشها قبلا ألوف
من ممالك العراء
وحضارات الكهوف
منذ قال الناس : هذا ، فاعبدوه
ودعني قال : إني... ، صدقوه

*

أغنياء ١١
ساقهم طبع العبيد
للشقاء
والمحسن ،

علموا الأجيال تمنو للزمن
وابتهالات الرجاء،
* علموها كيف تقات الإحن ..
كيف تقات الضلال .
وتغنى لانتصارات الخيال ،
وتداجى كل أطوار الطغاة .
فشى العار يغنى فى الحياة ..
أغنيات عزفها لحن بليد !!
أغنيات عزفها لحن قدر !!
واشراب الدهر يقضى فى البشر
أهضيات البلهاء :
فضمير صيغ من ذوب الصفاء !

ودعاء صنع سكان السماء ١١
وشعور قيل عنها مرهفة ١١١
لم تدنسها الليالي المعجفة
هذه حظ الملوك ١١١١

★

قسمة ضيزى أباحت ما تشاء
من حياة مدنفه ،
وليال مترفة ،
وأمر تنضوى طى الخفاء
لها العليش بأوهام الظنون ١١
قراءت من فتوحات القرون
ترهات ..

قيل عنها من قبيل المعجزات ۱۱۱
مكذا حكم الفباء ،
حكم سمار الرياء ،
حكم قوم أشربوا هذا البلاء ،
فإذا النور ظلام ۱۱
وإذا الخلف أمام ۱۱
وإذا الحق ضلال ۱۱۱
وإذا الباطل نور ۱۱۱۱
حكم قوم شوهوا التاريخ في كل العصور ۱۱۱۱۱

قضية الشعر الحديث

- الرومانتيكية في الأدب العربي الحديث
- الرومانتيكية في الأدب الأوروبي
- الواقعية النقدية
- الواقعية الاشتراكية
- عود على بدء

قضية الشعر الحديث

الرومانتيكية في الأدب العربي الحديث :
اتخذت الرومانتيكية سبيلها إلى أدبنا العربي في مطلع
هذا القرن ، توارد عليها شعراء المهاجر الأمريكية وفي مصر
شعراء الديوان ، في وقت يكاد يكون واحدا إلى حد بعيد ،
سبق إليها الأولون سبقا غير محسوب بما حاوله الريحاني
وجبران ونعيمة في البضعة عشر عاما الأولى من هذا
القرن ، ذلك بأنهم لم يلبثوا أن لحق بهم في مصر كل من المازني
وشكري هذا ، بضوء الفجر ، في عام ١٩٠٩ وذاك بالجزء

الأول من ديوانه عام ١٩١٣ ، وفقى على آثارهما العفاد
بأول أعماله الشعرية في عام ١٩١٦ .

وجاءت السنوات العشرينية والأعمال الأدبية تتلاحق
هنا وهناك حتى إذا دخلنا في الثلاثينيات كان هذا الشعر
قد بلغ حدا بعيدا في التضج والاستواء ، يقول صيدح:
« وما حانت سنة ١٩٣٠ حتى تبنته آلهة الشعر ، وغنته الملائكة
المحان أبو ماضى ونسيب عريضة ورشيد أيوب فأخذته
نشوة الزهو والظرب ، وراح إلى سجل التاريخ يكتب فيه
اسمه وكنيته ،^(١) »

ولقد واكب هذا الرحيل في مصر « جماعة أبولو ،

(١) أدبنا وأدبائنا في المهجر الأمريكية ص ٤١

الذين التأم عقدهم بأول عدد من أعداد مجلتهم في سبتمبر من عام ١٩٣٢ ، فاستحصدت هذه النزعة على أيدي شبانهم من أمثال أبو شادي والشابي والصيرفي وعلى محمود طه .

وكان الناس قد تسامعوا برواد هذا الشعر هنا وهناك في مصر وفي أمريكا ، واتخذ القديم منهم موقف التنقص والعداء فاصطنعوا لمذهبهم الأصول وشرعوا له القواعد ، الشعراء المصريون في كتاب «الديوان» الذي نسبوا إليه ، والمهاجرون في «الغريبال» الذي كتبه ميخائيل نعيمة ، فجاء هذان الكتابان فاتحة هذا العصر الجديد في الأدب والنقد .

وكما اتفقت معالم التأليف الشعرى وتواكبت دواوينه ومؤلفاته في مصر وأمريكا فقد اتفقت كذلك معالم هذا التأليف النقدي ، فجاء «الغريبال» ، «والديوان» ، لا يفصل بينهما غير

عام واحد ، هذا في ١٩٢١ وذاك ١٩٢٣ .
ولا يقف الأمر بنا عند هذا الاتفاق الزمنى وإنما
الدلالة المقصودة من وراء ذلك هي الاتفاق فى الذوق والتفكير
الأدبى كليهما ، يقول العقاد فى تقديم «الغربال» ، وأى شىء
أدل على قرابة الفكر وأبين عن عروقها الممتدة ، وأرحامها
المؤلفة من كتاب تخطر معانيه وتصاغ عبارته فى دنىوورك،
ثم تكتب مقدمته فى «أسوان» تحت سماء القارة الأفريقية...
وأكاد أقول إنه لو لم يكتب قلم «النعمى» هذه الآراء التى
تتمثل للقارىء فى هذه الصفحات لوجب أن أكتبها أنا ، فأما وقد
كتبها وحمل عبئها فقد وجب على الأقل أن أكتب مقدمتها (١)
والعقاد من شعراء «الديوان» ، ومن أصحاب

(١) الغربال ليخائيل نعيمة ص ١٥

الفصول النقدية فيه كما هو معروف .

ويأتى هذا الاتفاق فى جملة شعرا ونقادا أو ذوقا
وتفكيرا من وراء الصدور المشترك عن موارد السموات
الرومانتيكى فى الآداب الأوروية، وهو على مد اليد يومئذ
أراده من عامة المتأدين فضلا عن خاصتهم ، فكان ذلك منبهة
لهؤلاء وأولئك على تصحيح الأوضاع الأدبية فى كثير .

وتدخل الجامعة فى أواخر الأربعينيات وهذه النزعة
غاية كل طالب ورجاء كل أديب ، يفوز أصحابها من حولنا
بما ترصده الدولة من الجوائز الأدبية، والمقتفون آثارهم ينهون
بيننا بهذا الأدب والأساتذة يأخذوننا بطرف منه فى الدرس
والبحث والتذوق والاستمتاع .

وأنت تخوض في أدب هذه النزعة ونقدها فتغوص في
ملحمة طويلة من قضايا النفس ، وجوه الشبه بين فصولها
أشد من وجوه الخلاف ، فكل شاعر قد رصد نفسه وحسه
ووجدانه أو ما شئت من هذه المصطلحات لظواهر الكون
أو مظاهر الطبيعة ، ثم يحوس بخياله في إنسانها وحيوانها
وطائرها وجمادها وسلوكها ، لا يقيد فيها حس ظاهر ولا
عرف شائع ولا مادة متبعة ولا تقليد موروث ولا تقويم
متواتر ، وإنما هو الانطلاق بما في النفس من ملكات الخيال
والعاطفة أو طاقات الخلق والإبداع أو الريادة والاكتشاف.
لجميعهم ضيق بقيود الحياة برم بالمألوف من ظواهرها
والمتبع في نظمها ، تستوى في ذلك عنده قيود السلطة وقواعد
العرف وقوانين الدين أو الأخلاق، ولا سبيل إلى الخلاص ،

الإباحتها والثورة بها، فقضية الإنسان أو النفس الرومانتيكية
هي قضية الحرية والانطلاق حتى تستطيع بما أوتيت من
ملكات أن ترتاد المجهول وأن تقع على الحقيقة القسابة في
الماء ، على حد تعبير بورا .

ولقد تفاوتت أسواقهم في هذه السبيل فهم موزعون
على الطريق من أقصاه إلى أقصاه ، يختلفون في تصوير الحقيقة
العليا وإنما يجمعهم الإيمان بها ويا لأشواق الروح وهيام النفس
بالمجهول ، ويؤمنون بالعاطفة والخيال سبيلا إلى هذا العالم
الذي يمسح عنهم هموم الحياة الواقعة ومخافتها الجارية في
نظمها وناسها وما يكون من النظم والناس .

ذلك بأنهم آمنوا بالحياة الدنيا بجنا قبيحا ، وبالعيش

فيه رحلة اضطرار نكب بها الإنسان في غير حكمة ظاهرة
فهو أبدا ملطخ بوعثاتها لا ينفذ عنه غبارها إلا عالم الخيال
أو الروح أو النفس بما فيه من حق صريح وخير محض
وجمال خالص .

وأسماء الدواوين أصح في الدلالة على أطراف هذه
الزعة العاطفية والتطوح وراء الخيال أو الرقى والأحلام
وكالملاح النائم ، لعلى محمود طه و « الزورق الحالم » لمختار الوكيل
و « الألمان الضائعة » للصيرفي و « أطيار الربيع » لأبوشادي
و « من وراء الغمام » لناجي و « الشاطئ المجهول » لسيد قطب
و « أحلام التنخيل » لعتيق .

وتفصيل هذا الإجمال مثبت في دواوينهم تقع عليه في

القصيدة هنا والقصيدة هناك ، يقول الشابي :

لاموا شبوب عواطفى وتخيلى . . . وتدفتى بالشعر ملء شعورى
وأكد أوقن أن من هو لائى . . . إما ضريب أو شبيه ضريب
إنبا بنكون كله شعر بلا . . . حصر ، وكم من عاجز مفرور

وأنت تقع على هذه العاطفية ، أصلا أول من أصول
هذه النزعة عند رائدكم الأول عبد الرحمن شكرى عندما صاح
فى صدر أول دواوينه :

يا طائر الفردوس . . . س ، إن الشعر وجدان

فإذا ما ألقينا أنفسنا بعد ذلك فى خضم هذه الآداب
رأينا ما أسلفنا من الزوع إلى العوالم المجهولة والتشوف إلى
ما فيها من أسرار الغيب المحجب ، يقول الصيرفى :

قد سبحنا بالفكر عندك يا . . . رب، فتأمت أرواحنا في سمائك
وعرفنا من الخيال معاني . . . ، وغابت عنا معاني جلائك
ليت هذى الجسوم كانت صفاء . . . مستندا جلاله من صفائك
لنعنا مع الخلود بسر . . . دينوى وصلته بسمائك (١)

وهذا التشوف إلى الانطلاق من كل قيد جمعهم على
صعيد واحد من التشبث بعالم المثل ، والقناء فيه هذا القناء
الصوفي الذي نراه عند الشافى :

يا صميم الحياة كم أنا في الدن . . . سيبا غريب أشقى بغربة نفسى
بين قوم لا يفهمون أناش . . . سيد فؤادى ، ولا معانى بؤسى
فى وجود مكبل بقيود . . . تائه فى ظلام شك ونحس
سأم هذه الحياة معاد . . . وصباح بكر فى ليل

(١) الألفاظ الضائعة من ٢٩

ليتني لم أفد إلى هذه الدنيا . . . يا، ولم تسبح الكواكب حولي
ليتني لم يعانق الفجر أحلامي . . . ، ولم يلثم الضياء جفوني
ليتني لم أزل كما كنت ضوياً . . . شائعا في الوجود غير مسجين

ولقد أورثهم هذا الشعور هذه الغربة النفسية التي يلتقي
فيها الشابي مع إيليا أبو ماضي ساعيا إلى القفر هاربا من الحياة :

سئمت نفسي الحياة مع الناس . . . سئمت حتى من الأحباب
وتمشت فيها الملالة حتى . . . ضجرت من طعامهم والشراب*

ولا يختلف عنها أبو شادي شغفا بالعزلة فهو يغبط
النخلة في تفردتها ويرثي عجزه أن يعيش على سفنها :

* الجداول لإيليا أبو ماضي ص ٤٨

في عزلة مثل أراك وإنما .: لم تيأس مثل من الصحراء
يا ليت لي صبرا كصبرك أو منى .: كمناسك، أو علما بسر هناء

ومرد ذلك السأم والملل ، إلى الضيق الشديد بالحياة
فهم معها في صراع أبدي ، لا يصبرون عليها ولا يرغبون فيها
وحسبهم ما هم فيه من الرقى والأحلام يصنعها لهم
الخيال ، فإذا أزعجهم عنها واقع الحياة ندبوا فيه الكزازة
وخلق الجفاء ، يقول ناجي :

وانتبهنا بعد مازال الرحيق .: وأفقنا ليت أنا لانفيق
يقظة طاحت بأحلام السكرى .: وتولى الليل ، والليل رفيق
فإذا النور نذير طالع .: وإذا الفجر مظل كالحرير
وإذا الدنيا كما نعدها .: وإذا الأحباب كل في طريق

وهؤلاء في مقدمات دواوينهم والنقاد فيما كتبوه عنهم
لم يألوا جهدا في الحديث عن هذه الخصائص والمكابرة بها ،
يقول الصيرفي : « آمال وآلام ، هما العنصران اللذان سيطرا
على حياتي » ، وفيه يقول مندوز : « ومثل تلك الحالة
النفسية الحزينة المنطوية كان من الطبيعي أن ترهف من
إحساس الشاعر وتأمله وتفكره على السواء . . . »

أما التيار الرومانسي فيتضح في قصائده العديدة التي
يشكو فيها من الحياة والأحياء ، ومن ذبول الأمل واستحصاد
الآلم في نفسه ، (١)

(١) الشعر المصري بمد شوقي لندور ج ٢ ص ١١٩

ويأتي على محمود طه فيهدى ديوانه ، إلى أولئك الذين
يستهيروهم الحنين إلى المجهول ، إلى التائهين في بحر الحياة ، إلى
رواد الشاطئ المهجور ، (١)

ويكتب عنه الزيات بعد وفاته فيعجب من ضيقه
بالناس وبالحياة ويقص علينا شكواه من مرض الاغتراب
والشوق الدائم إلى القريب المجهول والوطن النازح ، (٢)

ولقد آمن كل أولئك بجدوى هذه النزعة ، واعتبروها
رجوعا بالشعر إلى جوهره وحق معناه ، لا يابه إلا بقضايا
النفس والوجود ، أو على حد تعبير ميخائيل نعيمة ، بحاجاتنا

(١) مقدمة الملاح التائه

(٢) وحى الرسالة للزيات ج ٣ ص ١٩٣

الروحية، والوفاء بمطالبها (١)

وعلى هذا الأساس ثار العقاد وطه حسين والمآزني
ونعيمة ومن إليهم من أنصار هذه النزعة بشوق وحافظ ولم
يستثن فرين منهم غير «مطران»، لأنه أدخل من صاحبيه في
خصائص الرومانتيكية، بدعة العصر على ذلك العهد أو أحدثه
الجيسل.

إلا أن ظروف الحياة المصرية وما كانت تضطرم به
يومئذ من الثورة النفسية على الظلم والاستعمار قد وقعت على
بغيتها الفنية فيما ترامى إليها من أصدااء والمذاهب الواقعية،
فاحتدم الخلاف بين النقاد والأدباء حول الرومانتيكية، فهم

(١) الفريال لنعيمة ص ٥٩

بين مادح لا يزال على مدحه وقادح يسخر من هذا الجديد
ويدعو لما هو أجد .

أما المادحون فهم لا يزالون عند جدوى هذه النزعة في
تخليص الأدب من التفاهة أو إن شئت فمن الممانى الواضحة
التي تستدعيها المصحة الحساسة أو النظرة الطاهرة ،
كما يقول الشابي،^(١) وهذا هو عين الوقوف بالشعر عند
« الفشور والطلاء ، دون الغوص إلى « الجوهر واللباب ، كما
هو عند العقاد ونعيمه^(٢)

وهذا الغوص إلى الجوهر واللباب هو الغوص إلى
« أعماق الحياة والموت والوجود والعدم ، وما في خفايا ذلك

(١) مقدمة ديوان الينبوع

(٢) الديوان لعقاد والمازني، والفرييل لنعيمه ص ١٧١

العالم المجهول، (١) أو هو « نشوة الضلال في المجهول،
وطرب العطر إلى ما وراء ظواهر الكون من آماد، (٢) أو
هو انجذاب أبدي لمعانقة الكون بأسره، أو الذات الروحية
تتمدد حتى تلامس أطرافها الذات العالمية، (٣) أو ما شئت
من أمثال هذه المصطلحات والتعابير .

وهذه الأغوار البعيدة أو العوالم المجهولة لا تعنى عند
القاصدين غير الهرب من المجتمع أو من واقع الحياة، وتلك
طفولة لا طاقة لها بالصراع، تفر بأصحابها والمتلبسين

(١) مقدمة ديوان النبوع

(٢) رسائل للنقد للدكتور رمزي مفتاح ص ٢٠

(٣) للفريال لنسبة ص ٦٣

بها إلى هذه العوالم التي أبلغ ما توصف به أنها فراغ
أثيرى (airy nothing) .

وأدى هذا التشكك والاختلاف، إلى أولى قضايا هذه
النزعة أو أولى أزماتها ، وما زال القادحون بأصحابها حتى
أخذوهم بكل مزية كانوا يكابرون بها ، فأخذوهم بالانعزالية ،
والفردية والعاطفية والخيالية واعتدوا ذلك جميعه من سيم
الحضارة البرجوازية ومثالب النزعات الليبرالية أو التحررية
التي ترامت إلى مصر بكل ما فيها من نظم وفلسفات .

ويتقاضانا جلاء هذه القضية أو تشخيص هذه الأزمة
أن نعرض للرومانتيكية الأوروبية ذاتها وأن نقف على
ما داخلها من لظرف فلسفي وما أحاط بها من ظروف تاريخية
وحضارية على وجه الخصوص ، ذلك بأنهم أخذوا عنها

مادتهم ، واصطنعوا خصائصها في الشعر ومذاهاها في النقد حتى لانهم تراموا فيما بينهم بالسرقة منها والسطو عليها دون أن يدفعوا هذه التهمة بحجة راجحة . (١)

الرومانتيكية في الأدب الأوروبي : Romanticism

والذين يعتمدون الخصائص الفنية وحدها في التفريق بين الكلاسيكية والرومانتيكية يقفون من جوهر الخلاف على مسافة لا يعدونها ، فالفارق بينهما هو الفرق بين عهدين متدابرين في كل وجوه الفكر والحياة ، أو هو الفرق بين حضارتين أو فلسفتين يلتقيان التقاء التعاقب بما يكون بين المتعاقبين من وجوه الاختلاف والمفارقة قبل المشابهة

(١) مقدمة أزهار الخريف لشكري ومقدمة ديوان المازني ورسائل النقد لرمزي مفتاح

والاتصال ، وهذا ماسوغه ببول آزار ، (P.H.) أن يتمول في
هذ التعاقب والاختلاف ، إنسان العقل وإنسان العاطفة ، هاهما
نمؤذجان بشريان يتعاقبان ، أحدهما يحل والآخر يرحل ، (١)
وهذا الاختلاف الذى أجمله ببول آزار ، فى العقل
والعاطفة أساس من أساس الخلاف الدائر حول طبيعة المعرفة
أو الاستمولوجيا ، (Epistomology) .

فلقد آمن القرن الثامن عشر بما ورثه من بوا كير العلم
والتجربة إيماننا لا يتزعزع بالعقل وجدواه فى الكشف عن
الحقيقة ، فنفوا بذلك عن الحياة ومظاهر الكون ما كان
يتكنفها من الغموض الذى حاق بها فى العصور الوسطى ،
فالتبيعة ووقائع الحياة بطلت فهما الحاجة إلى تدبير الآلهة

(١) الفكر الأوروبى فى القرن الثامن عشر - ص ٢٣

أو الجنى أو الملائكة وإنما هو تصريف القوانين الكامنة فيها
تعمل عملها غير مأذونة صنيع قوانين الضوء، والجناذية التي
اكتشفها « جاليليو ونيوتن » .

ولا حيلة في هذه القوانين إرادتها غالبية ومنطقها غير
مدفوع فهي عند المؤمنين إرادة الله بمعنى ، أو هي من خلقه
أراد لها أزلا أن تطرد دون دافع أو رقيب ، فالله
عندهم - ويخلق ولا يتدخل ، كما يقول « بيكر » (١) ، وأجدى
على الإنسان أن يكشف عن هذه القوانين ليقتدى بها وينزل
على حكمها ، قضت بذلك سنة الطبيعة أو حكم العقل ومنطق
الاستنارة (enlightenment) .

وهكذا وقفت الطبيعة موقف الأستاذ، تلهم ولا تستلهم،

(١) المديحة الفاضلة ص ١١٢

وتعلم ولا تتعلم ، وأصبح العقل هو الموكل باستخراج سرها
والكشف عن قوانينها ، وهي على أستاذيتها لا تنأى على
طالب ، وتعطى ذات نفسها لكل متدبر ، لا تكلفه غير النظر
المعتاد أو الملكات الطبيعية ، كما يقول « لوك » ، فضاقت
بذلك مسافة الخلف بين العقل والطبيعة وجرى عرف
العصر بين الفلاسفة والمفكرين بكل ما هو « طبيعي معقول » ،
وبكل ما هو « معقول طبيعي » ، وأصبحت الطبيعة والعقل وجهان
لعملة واحدة ، وأصبح القرن الثامن عشر عصر العقل والطبيعة .

وحسبنا « جسون لوك » شاهداً يجزىء عن غيره لأنه
زعيم فلاسفة القرن غير منازع ، طبع الفكر بطابعه قرناً أو
يزيد من الزمان كما يقول مؤرخوه وعارفوه ، فأنت تقراً
ما كتبه عن العقل البشرى فتراه عدواً لكل معرفة سالفة أو

قبلية كما يقولون (a priori) فالإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء (Tabula Rosa) خلت من كل علم أو عرفان ، ثم تأتي التجربة فتخط عليها ما نشاء من ذلك ، يقول : « من المقرر عند البعض أن هناك أصولا فطرية في العقل وأعني بها بعض الافكار الأولية والخصائص ، مطبوعة على عقل الإنسان قد تلقتها الروح عند خلقها الأول وجاءت بها إلى هذا العالم .

والقراء العدول حسبهم تسليما بزيف هذا الرأي أن أريهم الناس عارين عن كل ملكة إلا الملكات الطبيعية يصلون بها إلى ما لديهم من المعرفة بلا حاجة إلى أي أفكار أولية وأنهم يستطيعون أن يبلغوا اليقين دون مثل هذه الافكار أو الاصول، (١).

(1) Locke : Human Understanding P. 95

يشترب د لوك، إذن من دافيد هيوم، في نفي
الذاتية والإيمان بالعقل مرآة لا يعكس إلا ما يقع عليه من العالم
الخارجي، فأصول المعرفة ليست فطرية أو بديهية وإنما هي
مكتسبة بالتجربة والخبرة.

وهنا تكمن جذور الخلاف الأكبر بين الرومانتيكيين
وهؤلاء، فالرومانتيكيون يابون أن تبلغ النفس الإنسانية هذا
الحمد من السذاجة والخواء، وأن تقف ملكاتها العاقلة من
العالم الخارجي هذا الموقف المتفعل لا الفعال أو السلبي
لا الإيجابي، تأخذ ولا تعطى، وتهتدى ولا تهدي، وتبغ ولا
ترود، يقول (موريس بورا): «فمنذ قرن مضى والفلسفة
الإنجليزية قد سيطرت عليها نظريات «لوك»، ولوك قد
اصطنع لنفسه مذهباً في الإدراك العقلي يقف فيه العقل

موقفنا سلبيا خالصا ، فما هو عنده إلا سجل الانطباعات التي تأتيه من الخارج أو على حد تعبيره « ما هو إلا نظار كسول ؛ أو متفرج كسلان يطل من فرجته على العالم الخارجى ، وهذا المذهب يتفق مع عصر النظر العلمى الذى وجد فى (نيوتن) صورته المسموع . » (1)

وهذا التفسير الآلى أو الميكانيكى الذى فسر الفلاسفة والعلماء به الكون لا يذو غير النزر اليسير من الاعتداد بالنفس الإنسانية والسمو بمعتقداتها الفطرية التى لا تقل قوة عما عداها . وهذا الإيمان بفاعلية الإنسان وجدوى ملكاته فى معرفة الكون والنفوذ إلى حقائقه وأسراره هى الدافع

(1) Bowra : Romantic Imaginatin p.2

بالرومانتيكيين وعلى رأسهم (كولردج) أن ينقضوا فلسفة
(لوك) ويرمونه وبالضلال والمهبط في نظرتة إلى الكون
وطبيعة الوجود والإنسان ، (١) ، يقول (بورا) « ولقد شغلوا
بما هو أبعد من تسفيه آرائه الخاصة في الله والشعر ، فكانوا أعداء
مذهبه وجميع منواله الفكرى « system » الذى يظاير هذه
الآراء ويؤازرها ، (٢) .

ولا يختلفون موقفا من (نيوتن) رأس هذه
المدرسة العقلية أو المنطقية أو الآلية في المعرفة
وفي تفسير الكون ، ذلك بأنهم آمنوا بنظام علوى (Transcendental Order) يحكم الكون ، لا يبال للعقل إليه ولا
يحدى فيه الجهد المنطقي ، وإنما هو الاستبطان أو الرؤية

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق

الداخلية « insight vision » ، ففضوا بذلك على ما سلفنا من الجهد المعتاد أو « الملكات الطبيعية سبيلا مهيودة إلى الإدراك واستكناه خبايا العالم ، وأصبح الوضوح (clarity) الذى أضفاه « ديكارت » على حقائق الحياة خرافة لا يرضاها غير السذج وأحلاس الآلية الصماء أو السلبية الجوفاء ، فردوا على الكون عمقه وعموضه ، وعلى النفس الإنسانية قدراتها وملكاتهما ، يستغلق الكون ما يشاء وهى موكلة بفض المغاليق وكشف الأسرار ، وذلك هو عصب الرؤية الداخلية ، فلقد آمنوا بنظام علوى يقبع فيما وراء النكون ، وبالعاطفة والخيال ملكتين تجوس بهما النفس فى هذا العالم المجهول ، يقول « بورا » « إن الرومانتيكيين فى نبذهم تفسير لوك ونيوتن للعالم المرئى قد استجابوا لنداء داخلى يستهدف

الكشف عن عالم الروح كشفاً أبلغ وأتم ، ولقد آمن كل منهم على اختلاف مذاهبهم بنظام للأمر غدير النظام المشاهد والمعروف ، وكان هذا النظام هو الهدف من وراء بحثهم العاطفي ، فكانوا يريدون أن ينفذوا إلى الحقيقة الأبدية وأن يكتشفوا غوامضها فيخلصوا بذلك إلى الفهم الأوضح والإفراك الأصح للحياة وما تنطوي عليه من معنى وقدر وقيمة ، (١) .

وانت تستطيع أن تقع في شرهم على أطراف مذاهبهم في أسرار الكون وفي الإنسان يصوغ بملسكاته هذا النظام العلوي الذي يراه بعين الخيال الحق ، وهو أمر شائع مشهور بين طلاب الآداب الأوروبية والعربية على السواء .

فشللى في أنشودته إلى الجمال يؤمن بأن هناك قوة خفية

(١) Bowra: Romantic Imagination p. 9.

تسرى في العالم مثل « نساءم الربيع أو شعاع القمر ، تلم بكل قلب إلا أنها ضئيلة على الناس بسرهما حتى لا تلبث أن تفر وتختفي تاركة وراءها الدموع والشقاء في هذا العالم التعميس، (١) والشاعر عنده هو الموكل « بخلق عالم آخر بما حوله من الواقع يكون أنبض منه بالحياة ، وأوفر حظا في الجمال وأبقى على محك الخلود ، (٢) .

ويلتقي « كيتس ، معه في الشغف بهذه الأسرار والكشف عن مظان الجمال الأبدى يقول :

(1) Poems of shelley 348 .

(٢) راجع بروموثيوس طلبقا ، الروح الراحبة ص ١١٥ من المرجع السابق .

ولتسدغ الخيال المنجس إذن يهيم
خلال الفكر الممتد إلى ما وراءه
واقنع سجن العقل على مصراعيه
فيذفع الخيال ويخلق نحو السحاب
فله خدوم يانفون به
وسوف يأتيك رغم الصقيع
بالجمال الذي فقدته على الأرض (١)

فأفة الحياة عنده أن الجمال أفسدته الألفة واستنفده
التداول ، كالفقاعة لا تصبر على اللمس ، فدع الخيال إذن
يأتك وبأمرأة يعشق ففكرك طيفها وتستقر جوانحك عليه (٢)
وهكذا تتسع شقمة الخلاف بين سر هذا السكون أو
الطبيعة وبين السكون أو طبيعة القرن الثامن عشر ، كما تتسع بين

(٢٤١) مملكة الخيال ترجمة المسيري في كتابه الرومانتيكية في
الأدب الانجليزي ص ٢٨٨

الخيال هنا والخيال هناك ، ولا تختلف العاطفة عنها موقفاً .
وبجمل الفرق بين الطبيعتين هو الفرق بين طبيعة «نيوتن»
وطبيعة «فكتور هوغو» (V. H.) ، هذا يرى فيها نظماً علوية أو
نبوة خفية تبسط لها ذات نفسك فتفضى إليك بجلالها وروعها
شأنها مع «إميل» ، على يديه (١) ، وذاك يراها جملة من
القوانين المنطقية التي تطرد اطراداً آلياً على غرار قانون
المجازية الأكبر .

وأما الاختلاف بين الخيال الرومانتيكي والخيال هند
هو لاء الفلاسفة العقليين ، فواضح فيما يناط به هنا وما يناط
به هناك ، فالعقليون يعتدونه مركباً للشطط إذا أملى له ، فهو
دائماً مكبوح بزمام العقل وقصاراه في «المعرفة» ، أن يجمع

(١) إميل لفكتور هوغو ترجمة زعيتر

الشيء ويستحضر الغائب ، فهو «واسطة» العقل إلى الإدراك
أو «أداته» إلى الفهم والمعرفة .

وهذا العمل هو عمل الخيال الأولى أو الابتدائي
(Primary) عند الرومانتيكيين ، أما الخيال الذي يناط به
الشعر عندهم فهو آخر يختلف عنه وظيفة وعملا ، أو على
حد تعبير (كولردج) «يختلف عنه في الدرجة وفي طريقة
العمل أو النشاط ، فهذا يذيب ويحطم كي يبني ويخلق من
جديد ، فإذا أعجزه الخلق فالوحدة الجامعة لأطراف الرؤية
أو العمل الأدبي والسمو بالواقع إلى المثالية الخالصة» (١)
وهذه الوحدة الجامعة أو الحيوية المبتوتة أو ملكة
الخلق والإبداع ، لا تبلغ غايتها بغير التعاطف أو ملكة الحس

(١) كولردج لمصطفى بدوي ص ١٥٦ نقلا عن (Litt. Biog)

والشعور ، فالخيال بلا عاطفة ملذبة عمياء ورائد أصم ، فهي
مفتاحه إلى الرقى والاحلام أو هي روح الشعر ، كما يقول
شلي وغير شلي من أئمة هذه النزعة وأتباعها (١)

والعاطفة عند هؤلاء الشعراء لا تعنى ما تعنيه عند علماء
النفس ولا ما يجرى به العرف الشائع في كلام الناس وإنما تعنى
عندهم ما شئت من التلقائية واللاوعى ومنبع الأحداث
والخلق الفنى وغيرها من الخصائص الإنسانية اللاعقلية على
غرار دفعة الحياة والحدس والملكة الصوفية ، كما جاء في شيلي (٢)

ولا أظنه يعنى المشابهة المطلقة بين هذه المصطلحات
وإنما هى السمة الجامعة بينها وهى العاطفية أو الجانب اللاعقلى

(١) تطور الفكر الأوروبى لبول آزار - ص ١٠٦

(٢) Shipley : Dict. of W. Lit. 494

أو « الأقل حظا من العقل في الطبيعة البشرية » ، على حد تعبير راندال (١) .

وهذا (الجانب الغامض) من الخبرة الإنسانية لا اتفاق عليه ولا ضابط له ، على غير الشأن في (الجانب العقلي) منها ، و(النظام العلوي) المستهدف ليس في وضوح (القوانين الطبيعية) التي تاروا بها ، و(الحقائق الأبدية العليا) لا تعلو إلى مرتبة (الحقائق العلية) في الضوابط والمعايير ، ففتح عليهم ذلك أبواب الخلاف ، وأصبح الشاعر رهنا بما يقطع من شروط إلى هذه الغايات المبهمة ، وبما يعانيه هو نفسه وتنفعل به مشاعره ويقع عليه إحساسه وبصيرته ، وهكذا فرضت «الانا» أو «الذات» نفسها قانونا للأدب ومعيارا من معايير الفداذة

(١) تكوين العقل الحديث - ٢٠٣ س ٤٠٣

والامتياز، وهذا ما اصطنعه العقاد معياراً باسم «الطبيعة الفنية»
أو «شعر الشخصية»، وضع به شوقياً ورفع ابن الرومي (١).

ومعيار الذاتية، هذا في الأدب قد أملى له طابع «الفردية»
(individualism) الذي طبع الحضارة البرجوازية
بطابعه القوي في القرن الثامن عشر على وجه الخصوص،
وحسيناً «العقد الاجتماعي»، فلسفة انتهى إليها هذا القرن
تقف بالفرد إزاء الدولة كلها وتنادى لكل سلطان أو جبروت،
أو على حد تعبير (سبنسر) فيما بعد ضد الدولة أو في
مواجهتها (versus).

وجاءت المواثيق العالمية والرسائل الليبرالية لتستريح
بالفرد على قمة النظم السياسية والاقتصادية وتكفلت حقوقه

(١) راجع كتاب الديوان وشعر ادمصر وبيئاتهم وابن الرومي وكلها للعقاد

« الطبيعية ، في التحرر والانفراد بالقداسة التي لا يعاوي عليها
قانون ، فالمجتمع السياسي - عندهم - لاحق على وجود الفرد ،
قد انعقد برغبته أو إرادته وتعاقده ، فهو من خلقه وإنشائه
ولا يضار والد بولده ، سنة الطبيعة وحكم الفطرة أو العقل ،
فجاء الفرد على أيديهم سيد المجتمع بلا منازع ، يسيره ولا
يسير به ، ويملكه ولا يملك به .

وفي الجانب الآخر يقف به غلاة التحرر والانطلاق
مبداً تكون بمعناه الفلسفي والاجتماعي ، فلقد ارتحل الله
عندهم عز هذا العالم وأومات عنه على حد تعبير « نيتشه »⁽¹⁾ ولقد خلفه
الإنسان عليه ، فداخله الكبرياء وهانت عليه القيود المتوارثة
والقيم الموروثة ، فثار بالزهادة المسيحية والتعسف الديني

1) Nietzsche : Thus spoke Zara. p.4

واصطنع واللذة، قانونا مشروعا ومبدءا طبيعيا، تدور عليه الحياة والأحياء، يقول فولتير، (Voltaire) : «وهل عقلك المستنير يستطيع أن يؤمن بالتاريخ الوهمي للعهدين القديم والجديد، وبالاحلام المقدسة لأولئك المتسكين المجانين الذين يتركون اللذة الحقيقية من أجل مجد زائف ، لأن اللذة هي موضوع جميع الكائنات العاقلة وواجبها وغايتها ، (١)

ذلك هو منطق التحرر وتلك هي أغوار الليبرالية ، انتهت بهم إلى الاستهتار بكل عرف متبع ، وقيمة موروثه في الاخلاق والساوك ، فهانت على «بيرون» ، روابط الاخوة ، فكانت بينه وبين أخته ماخطه هو بيده من دنس يعف عنه الباحثون (٢) ، وكان من «جان جاك روسو» (J. J. R.) ما كان مما

(١) تطور الفكر الأوروبي لبول آزار تقلا عن رسالة لانو إلى أوراني - ١ ص ٦٣ (٢) بيروت لأمانة السعيد

يقف له الشعر من الجرأة في التبذل والانحلال ، وقس عليهما
« رابليه ، وغير رابليه من أولئك نفر الذين تحرروا من كل
قيد في الأدب والحياة ، يقول (هوجو) : « إن الرومانتيكية
كثيرا ما يخطئها الناس في تعريفها ، وينبغي على الجميع أن
يأخذها على أنها الليبرالية في الأدب ، وهذا هو التعريف
الحقيقي لها ، وأعني بذلك الحرية في الفن والحرية في المجتمع ،
وهذان الأمران ينبغي أن تستهدفهما قوى العقل والمنطق ،
فها نحن قد خرجنا من نطاق المجتمع القديم ، فكيف لا نخرج
على نطاق الشعر القديم ، (١) .

إلا أن الناس لم يلبثوا أن أخذوهم بهذا التحرر والخروج
على مألوف الفكر والشعور ، « ذلك بأن المخاطر والشعور

(1) Picard : Le Romantisme Sociale, p. 26.

ذات العصبنة الجنسية - كما يقول « هاردنج » - كانت من أولى الملامح التي بدأت تقفز إلى الصدارة بعد أن كان العقل والمبادئ السليمة قد نبذاها إلى مكان بعيد ، (١).

ولقد وقفت بهم هذه الجراءة موقف « البلهاء والأشرار » عند كبار معاصريهم من النقاد (٢) ، وأسلبتهم إلى الصراع أو التخاصن مع المجتمع وقيمه ومعتقداته .

ولعل مثل هذا التناقض فيما بينهم وبين المجتمع هو الدافع بجبران إلى أن يتمسح بمسوح النبرة والجنون معا (٣) تعاليا وسخرية قبل أن يتعالى الناس عليه ويسخرون هم منه ، وقد نزل أغلب هؤلاء الرومانتيكيين على حكم الأمرين معا .

(١) الرومانتيكية ... ترجمة المسيرى ص ٧٥

(٢) للرجع السابق ص ١٧ (٣) الجنون والنبي لجبران

فوسواء صح هذا الزعم أم لم يصح فإن الوجه الأول من أزمة هذا الشعر جاءها من الغلو في التحرر والشطط في ازدراء الأوضاع والتقاليد الجنسية وغير الجنسية من أمور الدين ومواضعات الحياة ، مما أدى ببعضهم فوق ذلك إلى الهرطقة والإلحاد في آخر الأمر ، جاء في شيلي : « ومن المنطقي أن التحررية أو الليبرالية السياسية تتصل بالرومانتيكية في الأدب وتتجاوب معها ، وهذا هو الواقع بالفعل ، فلقد أدت الحرية الفردية ببعض الرومانتيكيين مثل شللى إلى الإلحاد ، وبآخرين مثل بودلير إلى الهرطقة ، ومع ذلك ظل آخرون منهم كاثوليكين صالحين بل أنقياء أتقياء ، (١) .

الواقعية : (Realism)

وجاءت الواقعية فلم تقف عند مأخذ الجنس والهرطقة

أوالإلحاد وإنما كانت في كثير من أمرها انتقاضا على التحرر من قيود الواقع والانطلاق الرومانتيكي في مطاوى المجهول وعوالم الخيال ، وسوغ لها في النفوس يومئذ ما داخل الناس من السأم، وما ملوه من اندوران المكروور حول الذات، وقد خلف على هذا الأدب خلف قصروا عن بلوغ شأو أسلافهم من أمثال كولردج وشللي ووردزورث، فبشمت هذه المثالب على أيديهم ، وكره الناس للأدب أن يدور في هذا الفراغ الاثيري (airy nothing) أو أن يكون وسيلة لمثل هذه الغايات المبهمة الغامضة أو العوالم الذاتية الخاصة التي تضيق فيها مسافة الخلف بين الأحلام السائفة المشروعة وبين الأوهام والخرافات ، فنادى « تيوفيل جوتييه » بالفن للفن تخليصا له

(1) Shipley : Dict. of. W. Lit. p. 494

من هذا الموقف المجهف ليقف به غاية لا وسيلة ، فقفزت
«التعبيرية» ، (expressionism) على يديه إلى صدر القيم ،
وأصبح «الأدب تعبيراً» (art is expression) هو التعريف
المستحب ، لأنه يؤكد الأدب «ظاهرة جمالية» ، في ذاته تبطل
معه كل غاية أخرى قد يُعتد به من أجلها كما ذهب إليه برادلي (١)
ولقد أفاد الواقعيون من هذه الدعوى وما ينبئ عليها
من هذا التحرير أو التحرر الجديد من موروثات الرومانتيكيين ،
جاء في «هارفي» ، «لقد أصبح الفن للفن صيحة الجماهير من
أمثال جوتاييه و بودلير و تيودوردي بانفيل و فلوبير
في صراعهم من أجل حرية الفن» ، (٢) .

(1) Bradley: Oxf. Lectures on Poetry, p. 4

(2) Harvey: Oxf. Comp. to Fr. Lit p. 31

إلا أن الواقعيين لم يقفوا بالأدب موقف البرناسيين (parnassians) وإنما جازوا به وصف الطبيعة إلى وصف المجتمع ، وعدلوا معهم عن الذاتية إلى الموضوعية ، إلا أنها موضوعية الشاخص إلى وقائع الحياة المترصد لمجريات الأمور وسلوك الأحياء ، فكانوا بذلك ثورة على الثورة الرومانتيكية والفن للفن معا .

وكانت حجتم الراجحة في موازين النقد والفلسفة والفكر على ذلك العهد هي الصدق ، ليس غير ، جاء في هارفي :
« لقد اعتمد الواقعيون شعار الصدق في الفن (sincérité) بدلا من شعار الحرية (liberté) الذي اعتمده الرومانتيكيون ، (١) .

(١) المرجع السابق

ولا يعنى الواقعيون بالصدق ذلك (الصدق الفنى) الذى يصدق بالمطابقة بين الأدب والانفعال القائم فى النفس، فالانفعال يشبه الواقع كما يشبه الأمر المتخيل والموهوم على السواء، وإنما يقصرونه على تصوير الواقع الاجتماعى أو واقع الحياة والأحياء، وهذا القصر ينتهى بهم إلى الواقع والصدق وصفين لقيمة واحدة أو وجهين لمعيار واحد، فأصدق الصدق هو الواقع المرصود بمخالفته فحسب، وهذا هو الفارق بينه وبين واقع المثاليين أو الفلاسفة العقليين، فهؤلاء يؤمنون بالواقع واقعا بما هو موجود به فى الذهن. ومؤدى هذا القول أن الحقيقة قائمة فى الذهن لخصائص مركوزة فيه، فهى معرفة قبلية (a priori) لا تستمد صدقها من الواقع وإنما الواقع هو الذى يستمد منها، وذلك هو

صلب الكوجيتو (cogito) الديكارتي ، ينطلق من الفكر
إلى الواقع ولا يعود إليه بشيء (١) .

ولا يقال ذلك هو صلب الأفلاطونية لأن الواقع عند
أفلاطون ظل للحقائق القابضة في عالم المثل ، يقع عليها الإنسان
بالتذكر (Reminiscence) لا بالتعقل ، إلا أن هذه
الفوارق تبطل في حديث الأدب ولا تبطل معها مظاهر
الاتفاق ، فكل المذهبين يغطط الواقع ولا يعتد به ، وكلاهما أملي
للكلاسيكية في العمدول عما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون ،
وهذا ماتأباه الواقعية ، فالواقعية أعدى أعداء هذا التمثيل الأعلى
للحياة والأحياء (idealization) ، ولقد آزوتها الفلسفات

(١) نظرية المعرفة للشنيطي ص ٥٩ ، ورواد المثالية لثمان أمين

ص ٣١ ، وتاريخ الفلسفة المهدية ليوسف كرم ص ٦٤

أو المناهج التجريبية على ذلك العهد بما أوحى به من موضوعية
المعطيات الحسية أو الأشياء الخارجية واستقلالها عن الإنسان،
فاسترد بذلك الواقع العارى عن التزييق أو التزوير ماضيه
الميتافيزيقيون من جدواه في المعرفة ، وماضييه الكلاسيكيون
والرومانتيكيون من سحره في النفوس وروعته في عالم الأدب
والتذوق ، جاء في شيلي : « وتنطبق الواقعية في ميدان النقد
الأدبي على تلك الأعمال الأدبية التي هيئت على نمط أدخل في
تقليد الحياة الملائسة أو الحالة أو الواقعة وتستمد مادتها
من واقع العالم ، فالمكاتب الواقعي هو ذلك الذي يتخذ له
موقفا موضوعيا أو فوتوغرافيا أو تقريريا أو موقفا غير
فني (artless) في تناول مادته ، وألا يقحم في أدبه آراءه
الذاتية ومشاعره الشخصية .

وهكذا يؤمن الفيلسوف والأديب كلاهما أنه من
المستطاع أن يتخذ الإنسان موقفا موضوعيا خالصا في سبيل
الوصول إلى الحقيقة، (١).

ولقد أفضى الفكر الأوروبي إلى شيوع الفلسفة الوضعية
والنزعة العلمية في القرن التاسع عشر، وأفضى هذا الإفضاء
إلى تسوية الواقعية الأدبية في النفوس لأنها أصبحت زاد
الأذواق العلمية التي تنفر من المبالغات الأدبية والتهويلات
الشعرية إلى التحليل الواقعي أو التأويل المادي جاء في هارفي :
والواقعية حركة في القصة الفرنسية بنفت أوجهها فيما بين
١٨٥٠ و١٨٦٥ ، ولقد حكمت شغف العصر العلمي والوضعية
التقدمية بالحقائق المادية كما عكست نفور الناس من الحماسة

(1) Shipley: Dict. of W. Lit. p. 470

الغامضة أو بمعنى آخر حماسة الرومانتيكيين للغموض ، (١) .
وأنت تقرأ ما كتبه مؤرخو الآداب الفرنسية والانجليزية
وكتاب دوائر المعارف الأدبية من أمثال كازاميان ولانسون
وهارفي وشيلي وكاسلز فتقع على الروافد الفلسفية والعلمية
التي وفدت من هيوم وكومت ومل ودارون وتين وسبنسر
ومن إليهم من أعلام التجريبيه والوضعية والنفعية والتطورية
والتاريخية والنفسية ، وكلها شاخص إلى الواقع الإنساني
وتحليله ، شاخص إلى القوانين العلمية التي تحكمه في حركته
التاريخية العامة والنفسية الخاصة .

ولقد أفضى بهم هذا الإتجاه إلى المبالغة في نقي العناية
الإلهية (Providence) ، واستحالت معهم الميتافيزيقيا من جميع

1) Harvey: Oxf. Comp. to Fr. Lit p. 549

الوجوه ، فأسلبوا للقوانين العلية أو متطلبات هذه المرحلة
الوضعية خاتمة مراحل التطور الفكري في تاريخ البشرية
واقصاها في حياة الإنسان، لأنها مرحلة الرشد العقل، والمشيح
عنها عائد لا محالة إلى أحضان الدين والميتافيزيقيا أو مراحل
البحث عن العلل الغائية والقوى المجردة مما لا يجدى مع
القوانين العلية المطردة العمل والتأثير .

وهكذا نجد أنفسنا في أتون الحتمية الخالصة إلى حد
كبير ، يقول الشنيطى نقلا عن روبنسون دكور: « فالوضعية
والنزعة العلية يتفقان معا على نقطة واحدة وهي أن كل ما في
العلم سواء أكان علما نفسيا أو اجتماعيا أو طبيعيا فهو يخضع
للحتمية على إطلاقها ، ولا يمكن من ثمة أن يتولد شيء ما إلا
بمقتضى قوانين عامة ثابتة » (١).

(١) نظرية المعرفة لشنيطى ص. ١٠٩

وهكذا نجد أنفسنا نفوس في حتمية تين (Taine) وطبيعية (Naturalism) تليذه زولا ، هذا يحمل أبطاله الأدبية على قوانين ذاك النقدية ، وكلاهما حيل على فلسفة العصر ونزعاته العلية ، يقول كازاميان : « لقد واكب الاتجاه الوضعي العلمي القائم على أعمال أوجست كومت اتجاه شبيه به في نظريات فلووير وزولا الجمالية ، وهذا لا ينبغي تفسيره بتأثير السابق على اللاحق مادام الاتجاهان كلاهما ضارب بجذوره في هذه الأرض ضربا عميقا منفصلا بعضه عن بعض ، وإنما أصح التفسير أن القصصا وحتى الشعراء قد عكسوا نهج الفلاسفة وأخذوا منهم وحيهم العام إلى حد ما ، (1) .

(1) Cazamian : Hist. of Eng. Lit. p. 371

والحيوان البشرى (La bete humaine) لإميل زولا ، هو المثل المضروب على هذا الأثر أو النهج ،
وحسبنا هذا العنوان دليلاً على موقفهم من
الإنسان وما أنزلوه عليه من حكم البيئة وضرورات الجسد
وغرائز الحيوان ، يقول مندور : « وهذا اتجاه قد أصبح له
في الفلسفة وعلم النفس الحديثين أنصار عديدون ، وهم أولئك
الذين يقولون بأن حياة الإنسان الشعورية والعقلية ليست إلا
ظاهرة ثانوية أو ظاهرة طفيلية تسلفت على أصل الإنسان
العضوى ومن ثم فهي تابعة ومتأثرة بهذا الأصل العضوى ، (١)
على أن هذه الحتمية أو هذا الاتجاه العلمى الصارم
ليس هو القاسم المشترك الأعظم بين الواقعيين ، وإنما هو

(١) الأدب ومذاهبه لمندور ص ٩٨

آخر الشوط الذي يقف على أواه (فلوبير) بواقعيته التقريرية التي لا هم لها سوى مثالب المجتمع ورصد النفس الإنسانية كما هي في سبيلها إلى حد كبير، يقول بليخانوف: « إن أعمال فلوبير قد انطبعت بطابع الوثائق التي تقدم المادة الضرورية لكل من تعنيه دراسة علم النفس الاجتماعي، (١).

وبين موضوعية (فلوبير) هذه وحمية (زولا) تلك، يقف في تقديرنا غيرهما من أعلام الواقعية من أمثال بلزاك وبوداير وثاكري وديكنز، وكلهم قد رصد حسه وبسط ذات نفسه لمثالب المجتمع وأوضاع السلوك البشري .

وأنت تقرأ ما كتبه هؤلاء في الكولنيل شابير (Le Colonel Chabert) ، وأزهار الشر (Les

(١) الأدب بين المادية والمثالية لبليخانوف ص ٢٨

(Fleurs du Mal) وسوق الأباطيل (Vanity Fair) ،
وأوليفر توست (Oliver Twist) ، فترى الخسة والضعفة
والتعاسة والقسوة والسنزوة وما إليها من كزازة الطبع وسوء
الخلق، فالكونيل شابير على مجده الحربى يذكره الناس وينكره
القضاء وتنكره زوجته التى تعيش على ميراثه الضخم مع غيره
من عظماء باريس لينصرف آخر الأمر طى الخفاء يلعن
الإنسانية كلها ويعلن على الملائمة وتفززه من الإلسانية جمعاء (١)
وديوان دأزهار الشر، قد يقنى عنه عنوانه بما يوحى به
من متع الشر أو لذادة الحرام ، وحسبك ماوارد عليه
النقاد فى أمره من هذا الجانب الحسى الصارخ بوقائع الحياة
وسلوك الإنسان، ولا شك أن الواقعية الحسية، تكون

(١) الكونيل شابير ص ١٠٣

أبشع ما تكون في أمور الفـزل ومسائل المشق التي
شدت في باريس يومئذ على الضوابط وقوانين الاجتماع ،
يقول طه حسين : « وبودلير في كل شعره حر جريء
بجازف يتخذ أبشع الصور وأقبحها وأشدّها تأثيرا في النفس
من هذه النواحي البشعة القبيحة » (١).

وأما (أوليفر) اللقيط فيخلص من قسوة الموككين بالملاجيء
إلى جبال اليهودى العجوز فيسومه الخسف والهوان ، لا يرحم
غضاضته وطراوته وإنما هي المكاره يدفعه إليها في سبيل
دراهم معدودة ، وفي (الأرض) تمكن (ليز) زوجها من
أختها الصغيرة (فرانسواز) دون أن تأبه بما تفعل ، ولما ثور
بها أختها فتصفعها (ليز) صفة المستكر لهذا التطاول كأنما

(١) حافظ وشوقي لظه حسين، والمقال المقود على أزهار الشرفى من ١٠

جاءت أمرا طبيعيا لا غرابة فيه (١) على حد تصوير زولا .

وقس على ذلك ما عداه مما يطول به الوصف في هذا
الصدد من التسفل والحطه ، يقول محامى (شابير) وقد برم
بكل هذا الجعود والنكران : «كم من الاشياء تعلتها وخبرتها
وأنا أزاول مهنتى ، عرفت أبا مات فقيرا عروما جائعا
ملتى فى أحقر مكان بلا زاد ولا مال ، ولقد لفظته ابتسائه
اللتان وهبها مالا يزيد على الأربعين ألف جنيه ... ورأيت
الأمهات يأكلن أموال أبنائهن اليتامى ظلما وعدوانا ، ورأيت
الأزواج يسرقون ثروات زوجاتهم ، وصادفت نساء يقتلن
أزواجهن بسلاح الحطب ... ثم يعيشن فى هناء مع العشيق أو
المخليل ، ورأيت أخريات ينشئن أبناءهن من الزوج الأول

(١) الأرض لزولا ص ١٧٢

على النزق والفساد لينعم أبناء الغرام بالثراء والجاه .

رأيت يا صديقي وما أكثر ما رأيت ... رأيت من ذلك

الكثير .. إنها الحياة ، III (١) .

و « إنها الحياة ، إجمال يفنى عن كل تفصيل ، لأنه

يوحى بفلسفة هذه النزعة ويأتى على أطرافها ، فانت تقع منه على

ثلاث يفضى بعضها إلى بعض عند التحقيق ، أولها ضعة النفس

الإنسانية بما ركب فيها من طباع الغدر وجبلت عليه من الخسة

والدناءة والقحة ، وثانيها العفونة وما يدب في المجتمع البرجوازي

من الخلل والانحلال ، والإنسان آخر الأمر لا حول له ولا قوة ،

تجرى الأمور لغاياتها وهو صابر عليها صبر المكروه أو المتعجب

أو انشأ الذي ينتهى جموحه إلى سكينه المضطر أو استسلام

(١) الكولونيل غابير ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

الذى لا حيلة له إزاء تضاريف القدر أو إرادة الحياة .

الواقعية الاشتراكية (Socialist Realism)

وتأتى الواقعية الاشتراكية فتشور بكل هذه الخصال ،
وتأبأها فلسفة مشروعة أوحكا لامعقب له ، فالخير عندها أصل
فى النفس الإنسانية ومركز فى طبائعها ، وتلك جبلة تعلو بها على
حمأة الشرور ودوافع القنوط والاستسلام ، يقول
مكسيم جوركى : دنى ساعات ضيق الروح ... القاسية ، أستحضر
بقوة خيالى صورة الإنسان ذات الجلال ۱۱ الإنسان الذى
تشع من روحه آلاف الشمس ويسير فى نورها المتألق جميلا
عظيما كالسكون إلى الامام ونحو الاعالى . . (۱)

وهذا السمو بالإنسان هو مفتاح هذه النزعة عند جوركى ،

(۱) نذير العاصفة لجوركى ص ۲۱

أو هي مفتاح أدبه توارد عليها نقاده والكاتبون فيه ، يقول
سعد توفيق : في « الإيمان بالإنسان » تتلخص كل فلسفة
جوركي وعقيدته (١) ، ويقول غالي شكري : وليست الأصالة
القومية هي المعنى الوحيد للأصالة في الفن كما يراه جوركي
بل هناك الأصالة الإنسانية أيضا أو أصالة الفطرة البشرية كما
يدعوها ، (٢) .

ويلتقي هذان الكاتبان في تأكيد هذه المزية مع
لونا تشارسكي ، فيقول : « هناك شعور من الإساءة والظلمة
يغلب على كتابات جوركي ، والظلال التي يفهم بها العالم عميقة
مخيفة قاسية . ولكن يعارضها إيمان عميق بالسعادة الإنسانية
وبالمثالية ، (٣) .

(١) للرجوع السابق ص ١٣ (٢) مجلة الطليعة مارس ٦٨ ص ١٤٠
(٣) المجلة السوفيتية ع ٦ في ٢٠ مارس ٦٨

وهذه المثالية أو الطيبة والخيرية (Bonté) هي الدافع بحوركي أن يثور بأولئك الأدباء الذين رصدوا أنفسهم لآثام البشرية وشرورا الإنسان، يقول: «فأنتم كلكم أيها الأدباء... تأخذون من الناس قدرا يزيد عما تعطونهم، لأنكم لا تتحدثون إلا عن الجوانب الشريرة التي لا ترون غيرها، ولكن يجب أن تهتدوا الإنسان إلى جوانب الطيبة فيه...» (١).

وهذا الإيمان المطلق بالخيرية أو الأصالة الإنسانية قد عززها الكفاح المشترك ووقائع الثورة الروسية المتصلة، وأهوال الحربين العالميتين على وجه الخصوص، فأنت تقرأ لبيليا إهرنبرج وسوداريف وسيمونوف وغيرهم ممن فازوا بجائزة ستالين في الأدب فترى البطولة والابطال تنزلت على

(١) نذير العاصفة ص ٤٢، ٤١

أيديهم من عليائها الكلاسيكي فهجرت بلاط الأمراء والنبلاء
إلى ساحة الشعب وعامة الناس ، وإذا الفوغاء ومن في حكمهم
من الرعاع ينفضون عنهم كل مانيط بهم من الضعة والحطية
ويشمخون بطولاتهم في مواقع التضحية والفداء ، (١) ،
فالجهور قد أصبح هو البطل العملاق ، إليه يرتد العمل الصالح ،
ومنه تنبع القيم وفضائل الحياة .

ومن الطبيعي أن تفضى بهم هذه الوحدة الجامعة في
مجاورة المصاعب والمشاق في بناء المجتمع وصد العدو إلى
التعاطف والتكاتف أو فضائل النخوة وطيب النجيزة ، وقفزت
ظروف الحياة وملابس الكفاح بثت هذه المشاعر أو الخصال
إلى مصاف المحامد والمزايا وتصدرت القيم الإنسانية جميعا ،

(١) روائع الأدب السوفيتي ترجمة سهيل أيوب

يقول الشاعر إيفتوشنكو (Ivtoshinko) في تاريخ حياته :
« ولكن حياة الشظف علمتني إيمانا جديدا بالبشر ... »

فهنالك الجنود خلال الحرب الذين كانوا يضمون
في يدي قطع السكر أو لفائف التبغ ، والفلاحون الذين
أنقذوني من دبة غاضبة في غابات التايجا ، والجيولوجيون
الذين أعفوني من حمل المقطف التقيسل وكانوا يحملونه على
أكتافهم ، والعمال الذين كانوا يعالجون الجروح التي تلشق في
قدمي من « الجسك » ، أو العشب المنديب وقد بنى هؤلاء الرجال
منذ كنت طفلا إيماني بالجنس البشري ، وإيماني بأعظم القيم
الإنسانية وهي وفق الإنسان بالإنسان ، (١) .

(١) حياتي لإيفتوشنكو ، ترجمة كامل زهيرى ص ١١٤ ، ١١٥
من هلال مايو ١٩٦٧ .

وطبيعي أن يعتد هؤلاء الناس أنفسهم أشد الشعوب
تحضرا لأنهم أحفل الناس بفضائل الإنسان وأعمقهم إيمانا
بعظمته ، وكان ازدهاؤهم أعظم وأشد منذ أن استقر بهم ذلك
النظام الذي أمد العالم بإنسان جديد يستطيع أن يأخذ على
عاتقه خلاص الإنسانية ، كما يقول سهيل أيوب ، وهذه
الكبرياء عنده هي جوهر الوطنية السوفيتية ، وهذا الإيمان
هو السبب في روح التفاؤل التي تفعمها ، وهذا كله هو الأساس
في الواقعية الاشتراكية ، التي ينضوي الأدباء السوفيتون
تحت لوائها ، (١) .

وهذا الإيمان بعظمة الإنسان وفاعليته في التطور والبناء

(١) روائع من الأدب السوفيتي ترجمة سهيل أيوب ص ٤

هو الذى وقف بهم موقف الناقم على واقعية فلوبير وبلازاك
وبودلير وناكرى وديكنز ومن إليهم من ذكرنا ، فهؤلاء
يقفون بالإنسان موقف العاجز عن أن يقدم الخير
لنفسه أو للبشرية ، فتصاراه السخط على ما يحيق به من الشرور
والآثام، أو الانتفاض على ما تجرى به الحياة من الظلم والحيف،
وهذا هو الموقف النقدى الذى دمنوا به هذه الواقعية ، فهى
واقعية نقدية (Critical Realism) ولا تزيد، ومن هنا
جاء مدحها وذمها أو الاحتفاء بها والتقصص من قدرها ، فهم
يمتدحون فيها الكشف عن مثالب المجتمع البرجوازى وعوراته،
فحماسى (شابير) يفر على يدي بلازاك إلى الريف بعيدا عن
باريس مباءة المبادى التى تثير فى النفس الاشتىزاز والنفور، (١)

(١) كولونيل شاپير ص ١٠٩

وتصدأ نفس (رينيه) على يدى زولا من جراء انفاسها فى هذا
والجو الأرسقراطى الفاسد المشبع برائحة الفضيحة والملىء
بتقاليد الإثم والخيانة، (١) ذلك والمجتمع الباريسى الراقى بكل
ما فيه من تحرر وانحلال، (٢).

وقس على زولا غيره من أدباء هذه الواقعية الذين تكفلوا
بالكشف عن هذا الفساد والانحلال، يقول فريفييل :
« يقدر الواقعيون مؤلفات القصاصين الانجليز الذين حفل
بهم القرن التاسع عشر مثل ديكنز وثاكرى وشارلوت برونتى
وإليزابيث جوسكيل، فقد كشف هؤلاء للعالم عن حقائق ترجح
كل ما كشف عنه الساسة المحترفون والكتاب مجتمعين، (٣).

(١) نفوس طارية ص ٦٢ (٢) المرجع السابق

(٣) الأدب فى ضوء الواقعية ص ١٢٥

وذلك الجانب النقدي (Critical) هو القدر الممدوح
في هذه النزعة أما ماعداء من الخصائص فهي مأخوذة به ،
ذلك بأنها عجزت عن مواكبة السير واستكمال الخطو في هذا
الطريق ، فوقفت عندأوله دون أن تمد البصر إلى ما وراء ذلك
من التطوير والبناء ، وهذا ماتكفلت به الواقعية الاشتراكية.
وعمدة هذه المآخذ ما قدمناه من السلبية الخالصة أو
مواقف العجز التي وقفوا بالإنسان عندها إزاء سوءات المجتمع
وشرور الحياة ، أو إن شئت فعمدتها في تلك الحتمية ، التي
جاءتهم من الطبيعية الميكانيكية أو الوضعية العلمية، فأنكروا منها
الإنسان طاقة خلاقة أو قوة فعالة لها أثرها في الحياة والمجتمع.
وهذا الأساس الفلسفي هو جوهر الخلل في هذه الواقعية
النقدية وما تفرع عليه من النتائج والأخطاء ، يقول انجلز :

« كانت مادية القرن الماضي ذات طابع ميكانيكي في الغالب وذلك بسبب توقف العلوم الطبيعية والميكانيكية وخاصة ميكانيكا الأجسام العلية السماوية والأرضية أو بالاختصار ميكانيكا الجاذبية ، وكانت الكيمياء في ذلك العصر ماتزال في مرحلة الطفولة والابتداء ، وكذلك الحساب بالنسبة إلى علم البيولوجيا ، فكان العلماء يفحصون تكوينات النبات والحيوان ويفسرونها على أنها نتيجة ميكانيكية صرفة ، وكما كان الحيوان في نظر ديسكارت كذلك كان الإنسان عند الماديين من أهل القرن الثامن عشر ، كل منهم عبارة عن آلة ، (١) .

وهذا العداء الشديد للمادية الطبيعية ، أفضى بهم إلى احتقار الواقعية النقدية أو طبيعية «زولا» على وجه الخصوص

(١) التفسير الاشتراكي لتاريخ لانجلز ترجمة البراوى ص ٤٦

لما فيها من هذه الآلية الصماء أو الحتمية التي وقفت بالإنسان عبداً والقضاء والقدور،^(١)، أو إن شئت فعبد «النظام الطبيعي»، الذي زعموه وزعموا ألا حيلة فيه للإنسان^(٢)، وتأتى المادية الجدلية فتنظر إلى العالم على أنه «عملية تاريخية»،^(٣) لا يعاين الإنسان عليها ولا يسفل، فلا هو السيد المتعالى ولا التابع المقود وإنما وسط بين هذا وذاك، يقود ويتبع ويؤثر ويتأثر، ففكره لا يعاين على عمليات هذا التطور، والتطور لا يتطور إلا بما يبذله من الجهد أو النشاط، يقول فريغل: «وقد بلور إنجلز فيما بعد هذه الفكرة الأولية فقرر أن علم الطبيعة وكذلك الفلسفة أهملتا حتى اليوم تأثير نشاط الإنسان

١ الأدب والفن في ضوء الواقعية ص ١٣٦

٢ المرجع السابق ص ١٣٨

٣ التفسير الاشتراكي للتاريخ ص ٤٨

العملي في أفكاره ، فهما لم يدركا إلا الطبيعة منعزلة في ناحية،
وإلا الفكر منعزلا في ناحية أخرى ، وعلى ذلك يكون تغيير
الطبيعة بواسطة الإنسان هو على وجه التحديد المصدر الأساسي
المباشر لأفكار الناس ، بخلاف ما يظن من أن الطبيعة وحدها
وعلى حالتها القائمة هي المصدر المذكور، وهذا المذهب الواقعي
الجديد الذي يقوم على رد الفصل المتبادل بين الإنسان وبين
مجتمعه في محيط التطور التاريخي ، أظهر عجز المذهب المادي
الميكانيكي الذي نادى به الانسكلوبيديون، وكذلك المذهب
الإنساني الذي قرر فيورباخ ، ولم يعد الإنسان بعد ذلك
روحا مجردا أو محورا جامدا تدور حوله الطبيعة ، (١) .

وهذا الموقف الفعال للإنسان أو الأثر المتبادل بينه وبين

(١) الأدب والفن في ضوء الواقعية ص ٤٦

المادة هو جوهر التطور التاريخي أو العملية التاريخية ، ولا نعى
بالمادة هنا الجوامد أو الطبيعة الساكنة وإنما نعى بها الأوضاع
الاقتصادية أو النظم أو القيم أو إن شئت فالنشاط الاقتصادي
أو العلاقات الاقتصادية التي لاتنفصل عن الإنسان ولا ينفصل
عنها الإنسان بحال ، وهذا النشاط أو هذه العلاقات أفضت
إلى الصراع الطبقي نزولا على حكم الديالكتيك أو قانون الجدل
الذي يحكم حركة التاريخ ، وهذا الصراع الطبقي قد أشرف على
غايته لأنه صراع بين البرجوازية التي يعتمدها الخلل ويدخلها
الفساد وبين البروليتاريا ، أو الطبقات الكادحة التي تؤذن
كل الدلائل العلية والاقتصادية والفلسفية بانتصارها ، وفي
انتصارها انتصار للبشرية على الظلم والاستغلال ، وخذ للصراع
الطبقي ، فلاشك عندهم أن هذه الظواهر الشاذة أو المجحفة في

تاريخ البشرية من مقتضيات التملك واحتكار أدوات الإنتاج وذلك هو صلب البيان الشيوعى، وجوهر فكرته التى توارد عليها ماركس وانجاز كلاهما، وبجمل هذه الفكرة، أن طريقة الإنتاج والتبادل الاقتصادى الشائعة فى كل حقبة من حقبة التاريخ بما يتفرع عليها من التنظيم الاجتماعى تشكل الأساس الذى ينبى عليه التاريخ الفكرى والسياسى لهذه الحقبة والذى به وحده يمكن تفسير هذا التاريخ.

ولانه بناء على ذلك كان تاريخ البشرية بأسره منذ انحلال المجتمع القبلى البدائى وملكية الأرض المشاع، تاريخ صراع طبقتى ونضال بين المستغلين والمستغلين، أو بين الطبقات الحاكمة والطبقات المهضومة، وتاريخ هذا الصراع الطبقتى يؤلف سلسلة من التطورات التى بلغت اليوم المرحلة التى

لاستطيع فيها الطبقة المهضومة أو المستغلة وأعنى بها البروليتاريا
أن تتخلص من نير الطبقة الحاكمة المستغلة وهي البرجوازية
دون أن تتخلص المجتمع بأسره في ذات الوقت وإلى الأبد من
كل صنوف الاستغلال والظلم ومن كل مظاهر التمييز
والصراع الطبقي ، (١) ، وإلما ركسيون يعتقدون هذا التحرر أو
التحرير أمرا محتوما وغاية يفضى إليها التاريخ لا محالة أو
خاتمة طبيعية ينتهى إليها هذا الصراع ، ويقدمون بين يدي
هذا الحدس أو هذه النبوءة مالا حصر له من البراهين العلمية
والحجج الفلسفية والأدلة التاريخية والمبادئ الإقتصادية وكلها
شاخص إلى ما يداخل هذا المجتمع الرأسمالى من الخلل الطينى
وما يعتور أسسه من التفكك الحتمى والانحلال الذى لا يحصى

(1) Marx : Copital & Manifisto p. 416

عنه ، وهكذا نرى انتصار البروليتاريا على أيديهم أمرا مفروغا
منه ينتهي به هذا الصراع القبيح وتتحل معه عقد الاستغلال
والاضطهاد .

ذلك هو منطق التاريخ أو تلك هي الحتمية التاريخية التي
ثار حولها الجدل (١) ، إلا أنها أفضت بالأدب إلى قضايا أعم
من قضايا النفس الرومانتيكية وأبعد من قضايا الواقعية النقدية
أو الانتقادية ، وأصبح الأدب موكلا بما لاحصر له من قضايا
« المذهب » . يزعم تفاؤل العالم البرجوازي ويفيل رأيه في
يومه وغده ، ويكاه إلى التشكك واستشعار الضياع بما يوقفه
عليه من الخلل والفساد ، يقول فريقتيل : « فالقصة ذات الاتجاه

(١) عقم المذهب التاريخي لكارل بوبر ترجمة صبرة وفكرة التاريخ
لكولنجود ترجمة محمد بكير

الأشترأكي تؤدي رسالتها على الوجه الأكل حين تحطم
بتصويرها الصادق للعلاقات الحقيقية هذه الأوهام العرضية
المستمدة من طبيعة تلك العلاقات ، وتزعزع تفاؤل العالم
المستغل ، وتحمله على الشك في دوام نظامه القائم ، (١) .

وهكذا أصبح الأدب عندهم منوطا بالتفسير والتأويل
ويتقصى الأسباب ويكشف دواليب المجتمع ، ويستخلص
من تباثر الأحداث وتعقد ما مفهومها العميق وحركتها
العامة ، (٢) ، فالأدب في قصاراه ورأى في الوجود ، أو
موقف معين إزاء النظام الاجتماعي القائم ، أو هو آخر
نقد وأمل واتجاه ، (٣) .

وكل فنان يسعى عن الاتجاهات الاجتماعية ، وتفقد

١ الأدب والفن في ضوء الواقعية ص ١٤٥
٢ المرجع السابق ص ١٤٦ ٣ للرجع السابق ص ١٤٥

أعماله كثيرا من قيمتها ، ، ويظهر تهافتها وسقوطها في هذه
المايير ، وهذه حقيقة مهمة - كما يقول بليخانوف - في
تاريخ الأدب والفن على السواء ، (١) .

وهكذا أصبح الواقع بين أيدي هؤلاء الفلاسفة
والأدباء والنقاد هو واقع بعينه لا ما تجرى به أمور الحياة ،
يقول مندور : « وفي موسكو التقيت بالكاتب الكبير
سيمونوف الذي يحتل مكان الصدارة بين كتاب الاتحاد
السوفيتي وسألته لماذا يؤاخذ «أهرمبورج» على تصوير
شخصيات سلبية متخاذلة إذا كانت هذه الشخصيات توجد
في واقع الحياة ؟

فأجابني ... إن مانسميه واقعا ليس إلا الصورة الذهنية
التي لدينا عن الحياة ، ... ولما كانت هذه الصورة ملكنا فنحن

(١) الأدب بين المثالية والروائية ص ٤٣

نستطيع أن نلوونها باللون الذي نرى فيه مصلحة لنا ولجتمعتنا. (١)
وهذا الواقع الفكرى أو المذهبى هو المعيار الصحيح
عندهم للأدب والفن، يقول فريفييل: «إن فهم عمليات التطور
الحقيقية يمكن الكتاب والفنسان من تحديد المعنى الصحيح
للأشياء... ويعينه على إدراك العالم الواقعى على نحو أتم
وأعمق... ، فلا يصبح إدراك المعتقدات الصحيحة الناشئة
عن العلاقات الاجتماعية متوقفا على المصادفة السعيدة أو الوعى
المهابط هلى العبقرى، (٢) .

وعلى محك هذه المعايير المرصودة راح الأدب يؤجج
النضال الشعبى ويرود الكفاح الثورى ويدفع عجلة التاريخ

(١) الأوب ومذامبه لندور من ٩٢ ، ٩٤

(٢) الأدب والفن فى ضوء الواقعية من ١٥٩

ويحطم معاقل البرجوازية وما شابه ذلك مما يبط به من
أهداف المذهب ، ومطالبه الواقعة ولا بد في الصراع الطبقي،
وسيطرة البروليتاريا ، يقول ماوتسى تونج : « وسوف يحل
النظام الاشتراكي محل النظام الرأسمالي ، وهذا قانون مستقل
عن إرادة الإنسان ، (١) .

وهذا التطور الاستقلالي الذي سبق إليه ماركس، (٢)
أو هذه « الحتمية التاريخية ، أو حتمية التطور التي ختمنا بها
الحديث تعارض ولا شك مع ما أسلفنا من جدوى الفرد وفاعليته
في « العملية التاريخية ، ، وهكذا سلبناه بالشهال ما أعطيناه

(١) مقتطفات من أقوال الرئيس ماوتسى تونج ص ٢٥

(٢) مقدمة كتابه نقد للاقتصاد السياسي ترجمة الدكتور طه بدوي
ص ٩٧ من كتاب الفكر الثوري

بأئمين ، فلقد حررناه من قيود «المادية الطبيعية» ، وما تفرع
عليها من مبادئ الجبر أو الحتمية في «الواقعية النقدية» ،
وعدنا نكبله «بالحتمية التاريخية» ، وما تفرع عليها هي الأخرى
من المبادئ المذهبية في الأدب والنقد ، وهذا تعارض ولاشك
بين أول الكلام وآخره ، بل أزمة الأزمات في هذه «الواقعية
الاشتراكية» .

ولا يصرفنا عن هذا التعارض أو يلى لنا في التجوز
عن هذه الأزمة المستحكمة ما قدمنا ويقدمون من حجج
«الديالكتيك» ، أو «الجدل» ، الجامع بين التفرد والازدواج
أو التناقض والتكامل أو الجبر والاختيار ، ذلك بأن الماركسيين
أنفسهم قد حاولوا جلاء الموقف بكل ما أوتوا من حجة ومنطق
فلم يزيدوا على التوفيق بين هذا التناقض أو التضاد ، يقول

فؤاد شبل : « وقد يبدو للباحث أن تروتسكي يتذبذب عند هذه النقطة بين فكرة المادية في صورتها المتزمتة القائمة على الجبرية وبين توفير قسط أعظم من حرية الرأي ، لكن يستبين للباحث من استقراء آرائه أنه يسعى حثيثا للتوفيق بين العاملين بمعنى إبراز أهمية الجماهير ودور الفرد ، (١) .

وهذا هو الرأي المتبع أو الحجسة الراجعة ، يقول « أومانسكي ، في التنويه بحقوق الفرد وآماد حريته في المجتمع الاشتراكي : « إن الاشتراكية نمط من أنماط المجتمع الذي ترتبط فيه مصالح الفرد بمصالح المجموع ، فمن خلال المجموع يتلقى الفرد ما يفي بحاجاته المادية والفكرية على أساس من

(١) تاريخ الثورة الروسية لتروتسكي ، عرض وتحليل فؤاد شبل
ص ١٧٨ من المجلد الخامس لترات الانسانية

الثناء الاجتماعي ، (٢) .

وهذا التوفيق أو هذا الاتهام الاجتماعي ينال ولا بد من
الفرص العريضة التي يتيحها النظام ، بلا حدود لكل من في
جنبيه روفائيل ، على حد تعبيره (٢) .

ولا شك عندي أن مقطع الحق في هذه القضية يتسابه
الغموض والجللاء بين الخصوم والاتباع بمقدار ما ينتاب
الغموض والجللاء هذا الازدواج القائم بين المصطلحات المترادفة
على السنة الماركسيين وفي معاجمهم التعبيرية من أمثال، الدكتاتورية
الديمقراطية، أو، الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية ، (٢)

(1) Umansky: Constitutional Rights of Soviet Citizen, p. 9.

(٧) المرجع السابق (٣) راجع على سبيل المثال مقتطفات من
أقوال الرئيس ماونسي تونج ص ٣١٠، ٣١١، ٢٩٠، ٤١٠، ٤٢٠، ٤٣٠

التي لم يجر بها العرف، البرجوازي أو الفكر الغربي، ولا يزال هذا اللبس أو ينال عندي من هذا التناقض إلا الالتزام الذاتي، (self-obligation) مبدا يحفظ على الأدب تلقائيته (Spontaniety) وإلا وقعنا في حماة الكروكية، الناشبة في آداب اليوم وفي أغلب فنونه المقرورة والمسموعة والمنظورة على السواء .

عود على بدء :

تلك هي الواقعية بشرطها النقدي (critical) والاشتراكي (socialist) نعود بمعايرهما إلى أدبنا الحديث فلا نعدم فيه من النماذج ما يستحق البحث والنقد والتقويم ، وإذا كان المقام يصر فنا عن التدقيق والتحقيق ، فإنه لا ينبغي أن يصر فنا عن وصل ما قطعناه من حديث

الرومانتيكية في أدبنا العربي، فلقد خلفتها هذه النزعة الواقعية التي لا اختلاف على اثنين من أدبائها وهما نجيب محفوظ ويوسف إدريس، فكلاهما قد تصدى في قصصه للطبقات الشعبية هذا في القرية وذاك في المدينة على نحو يحتاج إلى تفصيل طويل. (١) وعلى قمة هذا الاتجاه في الشعر يقف عبدالرحمن الشرقاوى بما كان يترامى إلبناعته من غياهب السجون وعلى صفحات الجرائد منذ طلب العلم في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، ولعل رسالته إلى الرئيس (ترومان) أو الرئيس الأمريكى التى تحتفل بها اليوم فى مسارحنا من الوثائق الدامغة لهذا الصلف الاستعمارى والصفافة البرجوازية والتحلل الرأسمالى فى المجتمعات والأفراد. ويجوز صلاح عبدالصبور وعبدالمعلى حجازى ليكون

(١) راجع على سبيل المثال فى مقتطفات من أقوال الرئيس ماونسى تونج
ص ٢، ٣١، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣

كلاهما حجرا كبيرا في صرح هذا الاتجاه الواقعي بمعنى عميق من معانيه المتعددة والتي سنفصل فيها القول بإذن الله .

وبين الرومانتيكيين الأوائل وهؤلاء الواقعيين يقف فريق من المعاصرين موقف الثورة والانتقاد على مظان الظلم والظلمة دون أن يودعوا خصائصهم الرومانتيكية في التخيل أو التصور والتعبير صنيع من خالطناهم بالاسكندرية من أمثال القبانى والسمره والأنصارى والعترىس .

ولا يعنى ذلك أن الأدب والشعر قد انتهى أمرهما بهؤلاء القليل ، فهناك غيرهم من جمعنا دواوينهم من أمثال الماحى والوكيل والعنتيل وعبدى بدوى والفيتورى والصدىق الدكتور كمال نشأت وفتح الباب ونازك الملائك بلاشك وروحية القلبنى وكلهم فى تمة هذا الحديث لهم مكانتهم التى سنفصلها فى كتاب مستقل عن هذا الموضوع نفسه بإذن الله .

وبعد :

فإني أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الجليلين
الدكتور محمد طه الحاجري - رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب
والدكتور السيد محمد بدوي - أستاذ الاجتماع بكلية
لاستماعها فصول هذا البحث وتصحيحها المهم بما قد
سمعاه ، كما أختص بالشكر الأساتذة الأصدقاء ممن ناقشناهم
وجادلونا بإخلاص في فصول منه وعلى رأسهم :

الدكتور محمد علي أبو ريان - أستاذ الفلسفة المساعد

والدكتور محمد عبدالمتعال قبال - أستاذ الأدب الانجليزي المساعد

والدكتور قباري اسماعيل - مدرس الاجتماع

والله ولي التوفيق ؟

علمي علي مرزوق

المدرس بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

المراجع

- ١ - ابن الرومي حياته من شعره - العقاد .
- ٢ - الأدب بين المادية والمثالية - لبليخانوف ترجمه حامد أحمد
- ٣ - الأدب والفن في ضوء الواقعية - لجون فريفييل
- ٤ - الأدب ومذاهبه - للدكتور مندور
- ٥ - أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية - لجورج صيدح
- ٦ - الأرض لإميل زولا - ترجمة دار الهلال
- ٧ - اعترافات روسو - ترجمة محمد بدر الدين خليل
- ٨ - بلزاك حياته وأدبه - لأنور لوقا
- ٩ - بيرون - لأمينة السعيد
- ١٠ - تاريخ الفلسفة الحديثة - ليوسف كرم .
- ١١ - تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في مصر في الربع الأول من القرن العشرين - حناى على مرزوق
- ١٢ - تطور الفكر الأوروبى في القرن الثامن عشر - لبول آزار

- ١٣ - تُكويرن العقل الحديث - لرانداال ، ترجمة جورج طعمه
- ١٤ - جون لوك - لعزى إسلام
- ١٥ - حافظ وشوقى - لطف حسين
- ١٦ - الخنائل - لإليسا أبو ماضى
- ١٧ - الديوان فى الأدب والنقد - للعقاد والمازنى .
- ١٨ - ديفيد هيوم - لركى نجيب محمود
- ١٩ - رواد المثالية فى الفلسفة الغربية - لعثمان أمين
- ٢٠ - الرومانتيكية فى الأدب الانجليزى، مقالات وأشعار ترجمة
عبد الوهاب المسيرى ومحمد على زيد
- ٢١ - روائع من الأدب السوفيتى، أضومة أقاصيص حاز كتابها
على جائزة ستالين فى الأدب - ترجمة سهيل أيوب .
- ٢٢ - الشعر المصرى بعد شوقى - للدكتور مندور
- ٢٣ - شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى - للعقاد
- ٢٤ - العقيد الاجتماعى - لنوك وهيوم وروسو - تقديم
أرنست بيكر - ترجمة عبد الكريم أحمد

- ٢٥ - عثم المذهب التأريخي لكارل پوپر، ترجمة عبد الحميد صبرة
- ٢٦ - فكرة التاريخ لكونجود، ترجمة محمد بكير خليل
- ٢٧ - الكولونيل شاپير - لبزاك، ترجمة محمود عبد المنعم
- ٢٨ - كولردج - للدكتور محمد مصطفى بدوى
- ٢٩ - المدينة الفاضلة عند فلاسفة القرن الثامن عشر لكارل يكر
ترجمة وتقديم محمد شفيق غربال .
- ٣٠ - مدام بوفارى - لفلوپير، ترجمة عباس حافظ
- ٣١ - المعرفة - للدكتور محمد فتحى الشنيطى
- ٣٢ - معالم النقد الادبى - للدكتور عبد الرحمن عثمان
- ٣٣ - مقتطفات من أقوال الرئيس ماوتسى تونج
- ٣٤ - من اصطلاحات الأدب الغربى - للدكتور ناصر الحامى
- ٣٥ - النبى - لجبران، ترجمة الدكتور ثروت عكاشة
- ٣٦ - نفوس عاربة - لزولا، ترجمة سامى غنيم
- ٣٧ - نذير العاصفة - لمكسيم جوركى، ترجمة سعد توفيق
- ٣٨ - وحي الرسالة - لأحمد حسن الزيات

- 1— **Bradly, A. : Oxford Lectures on Poetry, London, 1950**
- 2— **Bowra, M. : The Romantic Imagination, Oxford, 1961**
- 3— **Cazamian, L. : A History of French Literature, Oxford 1950**
- 4— **Harvey, P. : The oxford Companion to French Literature, Oxford, 1959**
- 5— **Lanson & Tuffrau : Manuel Illustré d'Histoire de la Littérature Française, Paris 1945**
- 6— **Leguis & Cazamian : A History of English Literature, London, 1954**
- 7— **Locke, J. : An Essay concerning Human Understanding, Britannica Great Books, 1952**

- 8— Marx, K. : **Capital & Manifesto of the Communist Party, Britannica Great Books, 1950**
- 9— Mikoyan, A. I. : **Speech at the 20th Cong. of the C.P.S.U., Cairo, 1956**
- 10— Minayev, L. : **Origin and Principles of Scientific Socialism, Moscow.**
- 11— Nietzsche, F. : **Thus spake Zarathustra, London, 1950**
- 12— Picard : **Le Romantisme Sociale, Brentano's, New York**
- 13— Shelley, P. : **Poems of Shelley, Oxford, 1960**
- 14— Shipley, J. : **Dictionary of World Literature, New York, 1943**
- 15— Umansky, Y. : **Constitutional Rights of Soviet Citizens. Moscow, 1955**

تم بحمد الله
